تاريخ الحروب العربية

(بين بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط وما كان من كليب وجساس)
وما جرى بينهما

الجزء الاول

عني بملاحظته وتصحيحه

سلمان الصفواني

صاحب جريدة المعارف

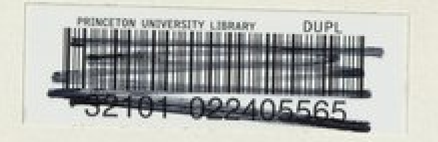
طبع على نفقة

عبد الحميد زاهد

صاحب المكتبة الوطنية بسوق السراي ببغداد

مطبعة دار السلام في بغداد

١٣٤٦
١٩٢٨م



تاريخ الحروب العربية

يضم بين دفتيه اعظم الوقائع واكبر المعارك التاريخية قبل الاسلام ويصدر فى اجزاء متتابعة تحتوي على سلسلة الحوادث الآتية :

١ — كيف تفرعت قبائل ربيعة ومضر

٢ — اسباب الخلاف بين اليمانية وعرب الجزيرة

٣ — حرب السلان ٤ — حرب الكلاب ٥ — حرب ذي أراط

٦ — حرب خزازي

٧ — حرب الجبلين

٨ — قضية (البسوس) — ناقة البسوس تسبب حرباً طاحنة بين بكر وتغلب — النزاع بين كليب وجساس — جساس يقتل كليباً — تغلب تطلب بثأر كليب — ضحايا بكر وتغلب — الحرب تدوم ٤٠ عاماً — اغتيال المهلهل — قتل المتقاتلين

٩ — حرب بين شيبان مع كسرى — اسباب الحرب : كسرى يطلب ابنة النعمان — نكبة النعمان — فرار الحرقة ابنة النعمان — لم لا يجيرونها ؟ — الحرقة تفكر فى الانتحار ! — بنو شيبان يجيرون الحرقة — الحرب بين كسرى وبني شيبان — العرب ينتصرون — المعركة الفاصلة فى التاريخ — انهزام كسرى وجيشه — الغنائم — اعادة ملك الحيرة لآل النعمان .

فعلى القراء ان يغتنموا الفرصة ويقتنوا هذا الكتاب النفيس من المكتبة الوطنية بسوق السراي ببغداد .

كلمة المصحح

شعور فياض ، وروح وثابة ، وغيرة صادقة ، و بطولة بارزة ، ومبدأ ثابت . الى ما هنالك من فصاحة فى القول ، و بلاغة فى البيان ، وقوة فى التعبير ، فى سلاسة لفظ ، وعذوبة معنى ، وشرف مقصد .

ان هذه الصفات الفاضلة والمزايا المحمودة لتتجلى لك جيداً فى الكتاب الذي بين يديك حيث يمثل صفحات خالدة من تاريخ العرب الحربي . وهو كل الحياة العربية لاسيما قبل الاسلام . فجدير بابناء العروبة ان يتطلعوا الى هذه الجوانب من الحياة حيث النخوة والشهامة والعزة ، وجدير بهم ان يعيروا هذا الكتاب جانباً من الاهتمام والقبول

واذا كانت يد الحدثان قد قضت على هذه الآثار بالتلف والاضمحلال وحكمت على تلك المفاخر بالزوال فانه لمن الواجب ان نسوق الشكر الى الصديق الاديب عبد الحميد افندي زاهد صاحب المكتبة الوطنية لقيامه بطبع هذا الكتاب (تاريخ الحروب العربية) بعد ان كاد يمحوه العدم و يطمسه القدم راجين له التوفيق لما فيه الخير والصلاح لهذه الامة

بغداد فى ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ سلمان الصفواني

بسم الله الرحمن الرحيم

فروع ربيعة ومضر

عن محمد بن اسحاق يرفعه الى غير واحد من العلماء قالوا كان نزار ابن معد بن عدنان لما حضرته الوفاة وكان سيداً شريفاً فى قومه وأهل زمانه وكان من اكثر العرب ماشية واموالاً وله من الولد أربعة ربيعة ومضر وانمار واياد وكانت مساكنهم تهامة نجد فلما حضرت نزار الوفاة قسم ماله بين ولده فاعطى الفرس ولده ربيعة وأعطى مضر البعير فمضر اكثر العرب ابلا وأعطى اياد الشاه فأياد اكثر العرب شاء تأكل فى بياض وتمشي فى بياض وسائرها أسود واعطى انمار الحمير فلحمير هم فضل على الحمير فلما أعطى نزار ربيعة الفرس والسلاح وأعطى مضر الابل والقباب الحمر فسميت مضر الحمراء وأعطى اياد العصا والجلة وأمر اهله واعطى انمار الحمار وبجيلة امة سوداء ترعى الغنم وفى ذلك يقول يحيى ابن منصور الهذلي

نزار كان أعلم حين أوصى لاي بنيه أوصى بالحمار

وأبهم احق بكل طرف سبوح في السباسب والقفار
وبالقدر العظيمة حين قالوا امسك ذاك امرئ القماري[1]

ولذلك سمي ربيعة القشعم[2] قال حجر ابن العلا اليشكري

لو كنت من ربيعة القشعم او الذرى من مضر الاعظم

فمن ولد انمار خثعم وقبائلها وأهل نجد واطراف الحجاز وولد اياد في الثغور والاطراف والمجمع عليه من ولد نزار ربيعة ومضر وكانا مسلمين على دين ابيهما وجدهما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وا كثر من تبعهما يتوارثون الدين كابراً عن كابر فلما كثر أولادهما وافترقوا في البلدان بدلوا ما كانوا عليه حتى بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية ابن عباس رضي الله عنهما لا تسبوا أبوي ربيعة ومضر فانهما كانا مسلمين وربيعة تقول لولا هي لانكفات[3] الارض لباسها وكثرتها وفي الحديث لا يهزم جيش لواءه بيد رجل من ربيعة حدث رجل من بني عدى عن علي أمير المؤمنين رضي الله عنه انه رأى رايات ربيعة بصفين فقال لمن هذه الرايات فقيل انها رايات ربيعة فقال هي رايات الله لا يهزم جيش لواءه بيد رجل من ربيعة قال الكلبي وكان اولاد ربيعة بن نزار خمسة عشر رجلا

---

(١) القماري نوع من الحمام حسن الصوت

(٢) القشعم المسن من الرجال

(٣) انكفاء تبدد او تغير

واربع نسوة اسداً وضبعة واكلبا وكليبا وكلابا ومكلبة وعمرواً وعوفاً وعابساً وعامراً وعمران والنمر والحارث وذويبا وكان فى بني أسد العدد والشرف والثروة والنجدة و(لبي) ابنة ربيعة وهي ام قيس بن الياس بن مضر وهم ساداة مضر و(ضربة) ابنة ربيعة وهى ام خولان بن عمرو بن الحاق ابن قضاعة و(سودة) ابنة ربيعة [1] وكان له ثلاث زوجات ام الرباع ابنة فاقق بن الساعد بن عك بن عدنان وجوبة بنت قيضر بن معد بن عدنان واسما ابنت الحاف بن قضاعة فهؤلاء امهات ولد ربيعة بن نزار فولد اكلب ابن ربيعة منشراً وذويباً ونبتاً فولد منشر العور وتيم اللاة ومضاة فولد تيم اللات عامراً وخزيمة وولد خزيمة غنم بن خزيمة فولد سعداً وجشماً وولد عامر بن تيم اللات جشم بن عامر فولد جشم حارثة وولد حارثة عبدالله وعبادة وجشم وولد أسد بن ربيعة ثلاثة جديلة وعنزة وعميراً فعمير فى عبدالقيس فولد عنزة طو وتقدم ومنهما تفرعت بنوه عنزة وأسد وولد جديلة بن اسد افصى بن جديلة ودعمى بن جديلة فولد دعمى أفصى وولد افصى عبدالقيس وهنب بن افصى فولد عبدالقيس اللوى بن عبدالقيس وافصى بن عبدالقيس فولد افصى لكيزا ونسرا وصباحا وولد لكيز عمرواً وبكراً ووديعة فولد عمرو الحارث والدؤل ومحارقا وعجلا والكثرة فى ولد عمرو بن لكيز وهنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن قاسط بن هنب فولد عمرو عتيبا وولد عتيت حجنة ودهى فولد دهى ملكان بن دهى

---

(١) لم نعثر على اسم البنت الرابعة لربيعة

وثعلبة وهم في بني بكر بن وائل وولد قاسط بن افصى بن دعمى بن جديلة
ابن اسد بن ربيعة بن نزار وائل بن قاسط والنمر بن قاسط ومعاوية بن قاسط
وولده بنو ثعلبة وهي فى تغلب، فولد وائل بن قاسط بكر بن وائل وتغلب
ابن وائل وعنز بن وائل والشخيص بن وائل وهما فى بني تغلب فولد تغلب
ابن وائل بن قاسط ثلاثة رجال غنما واوسا وعمران فولد غنم عمرواً
ووائلا وعبسا وولد عمرو خبيبا وزيدا وبكرا فولد خبيب بكراً ومالكاً
وجشماً وولد بكر جشماً ومالكاً وثعلبة وعمروا والحارث ومعاوية وهم
الاراقم فهؤلاء ابناء تغلب وولد بكر بن وائل رجلين يشكر وعلياً فولد
يشكر كعبا وحارثا وكنانة وولدعلي صعبا فولد صعب لجيما وعكابة ومالكا
وولد مالك رمان وهم باليمامة قليل وولد لجيم بن صعب حنيفة وعجلا وولد
حنيفة الدؤل وعديا وعامرا وعبد مناف وحجر بن حنيفة فولد عامر سورة
ابن عامر وتيما وابا سعد وولد عدى بن حنيفة حمدان وسعدا والحارث
وربيعة وهم رهط نجدة بن عامر الحروري ومسيلمة الكذاب لعنه الله وولد
الدؤل بن حنيفة ثعلبة ومرة وذهلا والحارث وعبدالله فولد الحارث معان
وولد عبدالله غنيمة والمغيرة وولد مرة بن الدؤل جشم وولد جشم بن مرة
عبدالعزا فولد عبد الله ونصارا وقيسا وسمرا وعبيدا وولد ثعلبة ابنا الدؤل
حنيفة ويربوعا فولد يربوع يزيد وثعلبة ومعاوية وقطن وهما السادة وولد
ثعلبة مصنوعاً وعبيداً فولد عبيد مسيلمة وزيداً وسلمة وارقم وهنب وشيبان
وولد عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ثعلبة بن سعد بن

عجل وضبيعاً وربيعة وكعباً وولد عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ثعلبة وقيساً فولد ثعلبة شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وتيم اللات وقيساً فولد شيبان ذهل بن شيبان وثعلبة بن شيبان رهط اوفى بن جرير ومصقلة ابن هبيرة وولد ذهل مرة بن ذهل وابا ربيعة بن ذهل وعكم بن ذهل وهم الضحاك بن قيس والحارث وصباحا وعفر بن ذهل وعوناً وعمرواً وهم بنو جدر ومحلما بن شيبان وهمام بن مرة وثعلبة والحارث وخندف وشيبان وذويب وصبر ونضلة بن مرة فاما نضلة وجساس فاللذان يقال لهما للفقر الحمار فولد همام بن مرة بن ذهل ثمانية سعدا والحارث وعمروا والحصن والحصين وعوناً وابا عمرو حجشا وولد سعد اربعة ثعلبة رهط بني سقيفة وعبدالله رهط بني مسهر ومرة رهط الحوفزان بن شريق والحارث رهط قيس بن خالد ذي الجدين الاحمرين فهذه شيبان بن ثعلبة وولد قيس بن ثعلبة ضبيعة بن قيس مالكاً وعباداً وربيعة رهط مالك بن مسمع فولد عباد جريراً ومرة والحارث بن عباد الشاعر فارس النعامة وولد مالك بن ضبيعة الحصين وهو عون وسعد بن الشجاع الشاعر وهو جد طرفة بن العبد الشاعر والمرقش واسمه ربيعة

وولد شيبان سدوسا وعمروا ومالكاً وعليا وبنو عمرو رهط العلاجم فولد سدوس سويدا وعمروا والحارث الاعور وربيعة وعبدالله وصباحا وحصة ومعاوية فهذه ذهل بن ثعلبة وولد تيم اللات هلالاً ومالكاً وعدياً وعامراً وقاطبة فولد الحارث ثعلبة وجليحة وشيبان وعامرا وعديا يسمون

الاكابر الا ولد ثعلبة عائذ بن ثعلبة وعمر وخديجا وغنما ويسمون الجدعة الاعائذ وولده وهم عبدالله وذهل وربيعة بنو عائذ فهم فضل وحصة وولد مالك بن يتم اللات عامر بن مالك وخليل وربيعة وعابساً وعكرمة رهط بني عفرس وخلق بن عفرس وسهران بن عفرس ووهب بن سهران وقيس والحارث ابني وهب فولد قيس مالكا وولد مالك زيداً وادا فولد زيد معاوية وولد معاوية زيداً وعامراً وسعداً فولد عامر زيد بن مالك بن قيس بن وهب ابن شهران بن عفرس بن خلف بن اقيل بن انمار بن معد بن عدنان بن ربيعة ابن عامر وولد معاوية ونصراً فولد مالك بن ربيعة مالكا وخزيمة وربيعة فولد عامر قحافة والحمل بن عامر وعبد بن عامر فولد عفرس بن خلق رهط بن ضبيان وحجفل فهذه يتم اللات بن ثعلبة

قال محمد بن السائب الكلبي ولد انمار بن نزار بن معد بن عدنان عبقر بن انمار وهضبة بن انمار والغوث بن انمار وخزيمة بن انمار وداعر ابن انمار واقيل بن انمار فولد عبقر قيساً وولد قيس يزيد وأفرد وولد الغوث احمس بن الغوث وزيد بن الغوث فولد زيد وائلة وولد وائلة مرادا وثعلبة وولد مراد معبد الدم وولد ثعلبة سحمة وولد خزيمة بن انمار نائل بن خزيمة وولد اقيل خلف فاولد خلف عفرس واولد عفرس سهران وناهش والحسلي من ناهش فهؤلاء بنو انمار بن نزار بن معد بن عدنان واقيل بن انمار واكاب بن ربيعة بن نزار هما خثعم وانما خثعم كان جمل لهم وعليه وقع الاختلاف بينهم وانتسبوا في اليمن فقالوا نحن بنو انمار بن ادريس بن الجبار

بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بيت من اهل اليمن وفى اكلب رياسة خثعم وشرفها وهم اهل نجد واطراف الحجاز ومنهم النفيل ابن حبيب الاكلبى الذي كان دليل ابي يكسوم صاحب الفيل حين غزا البيت الحرام ذكر اهل العلم انه لما أقبل ليدخل البيت الحرام اخذ باذن الفيل فقال يا ابا محمود ابرك هائبا وارجع خائباً من حيث جئت فبرك الفيل واقبل انس صاحب الفيل فزجره فلم يقم فعرف الملك ان الفيل قد سحر قالوا ان النفيل بن حبيب تحدث فى اذن الفيل فبرك وكان النفيل يسمى ابا محمود وابا العباس فزجره صاحبه ثانية وثالثة فلم يزل باركا حتى نزل الطير بالحجارة وطلبوا نفيلا ليدلهم الطريق فاعتزل عنهم هارباً وهلكوا وقل فى ذلك :

حمدت الله حين رأيت طيراً ... وريحاً عاصفاً تسفى علينا
وكل القوم يسئل عن نفيل ... كأن عليَّ للحبشان دينا

ومنهم انس بن مدرك الاكلبي جاهلي فارس شاعر قال فيه شاعر خثعم ينفيه

فما اكلب منا ولا نحن منهم ... وما خثعم يوم الفخار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها ... وليس لهم ام لدينا ولا أب

فاجابه انس بن مدرك يقول :

فاني من القوم الذين نفيتني ... اليهم كريم الاصل عمى والاب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني ... اليهم ترى اني بذلك أثلب
أبونا الذي لم تركب الخيل قبله ... ولم يدر خلق قبله كيف تركب

وعلم ابناء الغطاريف[1] ركضها — فكلهم أضحى على الخيل يلعب

والا يكن سهران عمي وناهس — فاني امرؤ عماي بكر وتغلب

واما يكن سهران صلب وناهس — اباها فما صلب ربيعة اكلب

فهؤلاء سادات ربيعة وولدهم الى اليوم هذا خبر من انتسب الى ربيعة

وقال امرئي القيس في ضده شعراً

يا راكبا بلغن اخواننا — من كان من كندة او وائل

أنا وايام واخواننـــا — كوضع الدر من الكاهل

كندة خلفاء ربيعة واصهاراً ولم يزالوا على الصهر والجوار والراية واحدة الى صفين وعزل الاشعث ومن كان معه ولم تزل قضاعة بن معد ولد نزار وشهدوا معهم حرب حزازي وغيرها حتى اخرجتها ربيعة لحرب كانت بينهما وذلك ان رجلا من قضاعة يقالة له خزيمة من بني نهد بن زيد عشق امرأة من بني عنزة بن أسد بن ربيعة وقال فيها الاشعار

ومما قال فيها :

اذا الجوزاء[2] اردفت الثريا — ظننت بال فاطمـــة الظنونا

فان اهلك بحبك فاعلميه — فلم يفلح أبوك ولا ابونا

قل ثم انه غدا مع ابيها يطلبان العيد وكانوا اهل دار واحدة ودعوتهم يا آل معد فوقعا على نحل قد اتجعت في بئر فاطلعا عليها فقال العنزي للنهدي انا ألزم لك الحبل فانزل فاطلع لنا النحل فقال النهدي بل انزل انت فانت

---

(١) الغطاريف : جمع غطريف وهو النبيل

(٢) الجوزاء : نجم في السماء معروف

أخف مني وانا اقوى على اخراجك فلما هبط العنزي وأطلع اليه ما أخرج قال اطلعني قال كلا او تزوجني ابنتك قال ليس هـذا حين زواج فاطلعني افكر وخلاه حتى مات فى البئر ويقال هما الفارطان لان هذا افرط في الطلب وهذا افرط فى المائية وفيها أشعار طويلة فلما راح النهدى سئل عن صاحبه فكتم وارتفع خبرهما ووقع القتال بين ربيعة وقضاعة حتى كثر القتل فيهم وانهزمت قضاعة الى اليمن وانتسبت فى حمير وفى ذلك يقول شاعرهم الحارث ابن خالد شعراً

ألا ابلغ بني نهد رسولا	فهم كانوا شعار بني معد
نفيناهم وقدجاروا علينا	فصاروا فى بلاد بني نهد

ونهد وعنزة وضبة من بني زيد و بني سعد بن ليث بن الاسود بن اسلم ابن الحارث بن قضاعة فانحازت طائفة منهم الى الحيرة [١] وطائفة الى البحرين والاطراف واتبعتهم نزار فلم يدعو معهم مضرية ولا ربيعية ناكحة فيها الا اخذوها وهربوا الى البحرين فتشاجروا بها قضاعة واقتسموها وقال عمرو بن كلثوم يذكر وقعة نزار واياد شعراً

الا سائل بني الطماح عنا	ودعميا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا	فعجلنا القرا ان تشتمونا

وقال الحارث بن عبد مناة :

(١) الحيرة: عاصمة المناذرة وهي تقع بالقرب من النجف وابي صخير . ولا تزال آثارها باقية حتى الآن

الا نادي الضمائن من اياد ولات السمر والخيل الجياد
وتعجبهم قضاعة حين سادت وما عجب باعجب من أياد
بنو الاعمام لما خالفونا لقينام لخلوا فى الاعادى

فاجابه انس بن حجر الايادى :

ألا ابلغ ربيعة حيث كانت وقل لهم سلوتم عن أياد
تركنا دارهم لما نقونا وكنا أهلها من عهد عاد
واسهلنا نجوس الارض جوساً بشعث الخيل والبيض الحداد

قال ثم خرجت بعدهم عبدالقيس الى البحرين لحرب كانت بينهم و بين مضر فلما اخرجتها مضر خرجت الى البحرين واجلت فيها أياد الى الثغور واتبعتهم شن وهي قبيلة من عبدالقيس كانت متبعة فقاتلت اياد حتى هلك عامتها وفيها يقال

وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه

وكثرت قبائل ربيعة وأكل بعضها بعضاً فارسلوا الرواد فاختاروا لهم ارض اليمامة لسعتها وكثرة مائها فارتحلوا اليها فاجلوا عنها اهلها فارتحلوا الى البحرين فصافوا ايادا و ناسبوها واصطلحوا بها ثم اخرجوا اياد عنها الى سواد العراق ونزلت عبدالقيس الخط وما والاها ونزلت شن فى اقصاها الى العراق ونزلت بكر بن افصى القطيف وما حوله ونزلت عامر بن الحارث بنو غنم و بنو عوف بن بكر وبنو الدئول ومن والاهم من عجل وعنزة الحرب والمفنون الى اطراف الاحسا وخالطوا اهل هجر وحلت طوائف من قبائل

عبدالقيس جوف وشاركو الازد بها وبين اتقين وجرماً ونهداً ومن بها من قضاعة ولحقهم كثير من تميم وغيرها وخزيمة بنو حنيفة مع سيدهم عبيد ابن ثعلبة فنزلوا اليمامة [١] ثم احتجر على ثلاثين ذراعاً وثلاثين حديقة احجبه شجرها فسميت حجيرته وحجر اليمامة واستملكها وفيها يقول ذو الرمة :

فلما استقلت في حمول كأنها | حدائق نخل القادسية [٢] اوحجر
رجعت الى نفسي وقدكان يرتقي | بحوباتها من بين احشائها الصدر

قال ابن اسحق فاقام ذلك فيهم لاينازعهم فيه احـــد حتى صار الى عبد القيس بن افصى بن دعمى فولى منهم بعـــده عمرو بن الفخذ المعروف بالافضل وكان اشرف اهل زمانه واعزهم فكان من سنته التي سنها لبني عمه انه قال من كلمكم فاشتموه واضربوه ومن ضربكم فاقتلوه ومن قتلكم كانت واحدة من اثنتين اما ان يحييكم ويديكم [٣] واما ان يديكم واقتله ونادى بذلك في ربيعة فلم يلبثوا حتى نابذتهم ربيعة وابعدوهم وعزلوهم بعد قتال شـديد ثم

---

(١) اليمامة : معدودة من نجد وقاعدتها حجر وبينها وبين البحرين عشرة ايام وكان اسمها قديماً (جواً) وتدعى الآن (باوان) او (جاوان) شمالي (صفوى) من بلاد القطيف وهي ملأى بالآثار القديمة التي لا تزال بارزة للعيان وقـــد شاهدتها بنفسي

(٢) القادسية : موضع معروف، بينه وبين الكوفة ١٥ فرسخاً وبينه وبين العذيب اربعة اميال .

(٣) يديكم يعطيكم الدية وهو مبلغ من المال يدفع لاهل المقتول .

تحولت الرياسة الى النمر بن قاسط و كانوا بالعراق حلولا فكان الذي يليه منهم عامر الضحيان وفيه يقول شاعرهم

النمر حي لا تنال حريمهم ... سبوا كأن رماحهم اشطان (١)

وضع المكارم جدهم كرماً لهم ... فابى الدنية عامر الضحيان

ثم تحولت رياسة ربيعة من النمر بن قاسط الى بني يشكر بن بكر بن وائل فكان الذى يليه منهم الحارث بن غنم بن عنز فكان مما سن ان له فرخاً من عقاب يضعه على الطريق فمن طيره عنها غرمه مائة من الابل ومن مر بينه و بين البيوت غرمه خمسين بعيراً فلم يزل كذلك لا تسلك طريقة حتى مر به عمرو بن شيبان بن ذهل وهو اعمى ومعه غلام له يقوده حتى انتهى الى الفرخ فقال الغلام يا مولاي هذا الفرخ قال امض بنا اليه فوطئه (٢) فقتله فغضب الحارث وارسل الى بني شيبان ان يرسلوا اليه دية الفرخ مائة ناقة فهم بقتل عمرو فقام رهطه دونه فكثر القتل ثم تفرقت بنو يشكر وظفرت بهم بنو تغلب وقال في ذلك عمرو بن شيبان يفتخر

ونحن هدمنا عز يشكر بعدما ... مضت حقب (٣) تحمي البلاد وتقسم

ونحن قضينا هامة الفرخ اذ عتى ... به الجور والباغي على الجور يندم

قال ولما انهزمت بنو يشكر تحولت منهم الرياسة الى بني تغلب بن وائل

---

(١) اشطان : جمع شطن وهو الحبل .

(٢) وطئه : داسه بقدمه

(٣) حقب : جمع احقاب وهي ثمانون سنة او اكثر .

فتقدم ربيعـــة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب وكانت سنته انه كان اذا وردت ابله لم يرد الماء احد الا من يسقى ابله من رعاته فاذا انتجع لم يوقد ظاعن مع ناره ناراً فاذا اصابهم الغيث لم يحوض انسان معه حوضاً ولم يحمل انسان على راحلته سوى رحله ولم يكن احد من قومه يجير فى ذمته ولا يتعدى امره اعظاماً له وهيبة فمكث على ذلك الى ان وقعت وقعة السلان (١) فقتل ربيعة فيهـا وولي بعـده ابنه كليب بن ربيعة لواء ربيعة ورياستها وقال عامر بن الطفيل الكلابي يفتخر بربيعة حيث يقول

ليت اسماء على عراضها ... وتنائى الدار منها والفند (٢)
عاينت من غير بغض موقفي ... فرأت جودي بنفسي والجلد
لقدتني بابيها وابنهـــا ... وبعميها جميعاً وبجـــد
يعتري الفرسان منا نافض ... فوق محبوك (٣) كسرحان الثمد
فســـلى عنا سرايا مذحج ... مع همدان على كثر العدد
اسلموا كل كعاب طفلة ... جدلة الســـاقين ملساء الكبد
ورويناً الاوس يوم للنحنـــا ... وبنى الخزرج قتـــلا لاتعد
وطحنا حميرا طحن الرحا ... فضلة الحسب الى ذنب الحدد

---

(١) السلان : ارض تهامة مما يلي اليمن

(٢) الفند . القوم المجتمعون

(٣) المحبوك . المضمر من الخيل الجياد

لم تغادر خيلنـــا من جمعهم غير قل وشقاء ونـــكد
فلنا النعماء على الناس معاً ولنـا الاذعان في كل بلد
ليس يصلى الحرب الا مثلنا واليمـــاني اذا قام قعد

قال وذكر ان بني بكر اصابتهم سنة شديدة اذهبت اموالهم بعد قتل كليب بزمان طويل فساروا حتى نزلوا بسواد العراق فاذن لهم النعمان ابن ماء السماء وكان عامل كسرا على ارض العرب وارعاهم على ان يأخذ منهم الاتاوة [1] ثم اتاه ان معهم غيرهم من العرب فبعث النعمان بن المنذر الى عيينة وسلمة فحبسهما وقال لا يكلمني فيهما احد الا لحيته فقالت بنو شيبان لقيس بن خالد وهو ذو الجدين بن الحارث بن همام كلم الملك في حبسهما فقال لا يبقى الكلام على عظمي لحماً فكلمه ياعمرو بن قيس فانك حدث السن فقال عمرو اعد الالية [2] حبلتكم امهاتكم ثم دخل على الملك فحياه ثم قال ابيت اللعن والله لا نرضى باخذ موالينا حتى تأخذ موالي بني تميم ثم موالي قيس مثلهم ثم ادبر فقال المنذر قاتله الله لقد اهتز اهتزاز الرمح الرديني الصلت فسمي الصلت من ذلك اليوم وهو جد معن بن زائدة بن يزيد بن مرشد الذي ذكره مروان ابن حفصة في شعره حيث قال :

قـــل لشريك وابنه مضر والصلت عمرو وتلك السادة النجب

ثم خرج الى بني شيبان فقال ابشروا قالوا ما رد عليك قال لم يرد علي

---

(١) الاتاوة . الخراج
(٢) الالية . اليمين والقسم

شيئاً ولكن سيرد فلتم كلامه حتى اذن لهم الملك بالدخول ثم استقبلهم وقال لقد بشتم الي خطيباً لو تكلم الى الليل لم يقل الا صواباً واني مخبركم يا بني بكر ان العز كان في بني لكين ابن افصى فرأى الله مايصنعون فغيره ثم في بني جشم ابن بكر فنعو المرعى والحياض ووفيد النار فانكر الله ذلك فغيره ثم تحدر الى بني شيبان فان تصنعوا ذلك ينزعه الله منكم ثم اخرج لهم الاسرآة وحباهم ثم قال احنوا لنا المستظلين والمستعملين وابي جاشة (المستظلين) في الحارث ابن همام كانوا لصوصاً و (المستعملين) بنو اوس وابو جاشة شاهرهم اذا ارادوا الشرف والغناء وكان المنذر يتقي لسانه ففي عنهم واقاموا بسواد العراق حتى كانت وقعة ذي قار [1] وقتلوا الفرس وصاروا في السواد الى يومهم هذا .

الجزء الثاني من كتاب بكر وتغلب ابني وائل ابن قاسط وفيه اخبار وقائعهم مع قحطان بالسلان والكلاب [2] وذي اراط [3] وحزازى [4] والجبلين [5] .

---

(١) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وفيه كانت الوقعة المشهورة يوم انتصف فيه العرب من العجم .

(٢) الكلاب : واد يسلك بين ظهري تهلان في ديار بني نمير بين الكوفة والبصرة .

(٣) ذو اراط . ماء على ٦ اميال من الهاشمية شرق الخزيمية من طريق الحاج ويوم اراط من ايام العرب المشهورة .

(٤) حزاز . هضاب بارض سلول بين الضباب وعمرو بن كلاب .

(٥) الجبلان . تثنية الجبل . ويراد به جبلا طي اجا وسلمى .

الجزء الثاني

قال ابو المنذر ابن هشام ابن محمد ابن السائب الكلبي لما تحولت الرياسة من عبد القيس الى تغلب في بني جشم بن بكر بن حبيب بن وائل وكانوا يمنعون الكلاء ويحجرون صيد الفلا ويمنعون الحياض اذا سبقوا الى الماء ولا يوقد ظاعن مع نارهم ناراً ولا يحمل رجل معهم على راحلته غير رحله وكان رئيسهم وسيدهم ربيعة بن مرة بن زهير بن جشم بن عمرو بن تغلب ابن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وهو ابو كليب وكان صاحب مرباع ربيعة ومنزلها في انتجاعها ولم يزل كذلك حتى اقبلت مذحج وحمير وقد استنفرت من قبائل اليمن في جمع عظيم يريدون غزو اهل تهامه [1] ومن بها من ولد معد بن عدنان واجتمعت نزار الى تهامة من الاطراف وقلدوا امرهم لربيعة بن مرة ابي كليب وسودوه لجميع الناس وتعبا للقتال في يماني تهامة بموضع يقال له السلان فجعل على احدى المجنبتين فرواش بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر وجعل على المجنبة الاخرى عمرو بن الابرص القضاعي وكانت قضاعة يومئذ مع ربيعة وكان على اليمن يومئذ سلمة بن الحارث بن عمرو الملك المقصور ابن حجر آكل المرار عم امرئ القيس بن حجر والتقى الناس بالسلان فاقتتلوا

---

(١) تهامة . بين مكة والمدينة وهي على ليلتين من مكة ؛ ومن طريق العراق الى ذات عرق جبلا إكله تعلمة .

قتالا شديداً فانهزمت مذحج وحمير ومن كان معهم من قبائل اليمن واصاب عميرة بن الابرص جماعة قتلاء واسراء وكانت ابنته تلومه على ايثار فرسه على عياله فقال في ذلك .

ان التي تلحى على افتتانها · آونة لا برئت من دائها

ثم صالحتها حمير ومذحج وهمدان بيوم كان فيه قتل ربيعة بن مرة وتنازع سلبه وكثر فيه القتل والاسر وعقدت الرياسة لكليب بعد ابيه وكانت امه مملوكة وانتهى فى الفراسة والرأى الى غاية لم يبلغها أحد من اهل زمانه فقلدته نزار لواءها بعد ابيه ولم تجتمع معد فيما ذكر العلماء الا على ثلاثة رهط من رؤسها عامر بن الضرب العدواني وهو عامر بن الضرب بن عبادة بن يشكر بن حارثة بن عدوان بن قيس عيلان .

الحرب الخزازية

حديث خزازي وكان ابتداء الحرب بخزازى بين نزار وقحطان بن صهبا وابن ذى الحارث وكان من الاساعدة من ملوك اليمن وكان مسكنه صنعا [١] بعث غلاما الى ربيعة ومضر ليأخذ له من رؤسائهم رجالا مع رؤساء قضاعة لبعض شأنه فوفد اليه جماعة من اشرافهم وفرسانهم فى اناس من العرب فلقيهم رجل من بهران [٢] كان اسيراً عند الملك يقال له عبيد بن مراد فسألهم ان يطلبوا من الملك ان يخليه مع من خلا من اصحابه ان انعم بذلك

---

(١) صنعاء . عاصمة اليمن .

(٢) بهران . علم لبني اسرة الحرقي بن زيد مناة بالمهملة .

وكان عند الملك امرا من نزار والفانها اسر ويوم قتل ربيعة فلما دخلوا على الملك كلموه فى اطلاق الاسارى فاطلقهم وكلموه فى البهراني فوهبه لهم وكان فيهم عوف وعوف وعوف بن جشم فقال البهراني فى ذلك شعرا :

نفسي الفدا لعوف النعال	وعوف وعوف ابني جشم
فهم ادركوني على عثرتي	وكنت اعض يدى بالفم
فكانت ربيعة اكرم من	رأينــــاه يمشى على قدم

فراموا ثم بدا الملك فارسل اليهم رجلا يقال له لبيد بن عنبسة الغساني وبعث فوقه رجلا آخر يقال له ارقى بن يعفر يلقب عنق اللحية فنزل لبيد في اوساطهم وتزوج تغلبية وصاهرهم وامنهم وجهز عنق اللحية العسكر تبعاً له عن امر الملك صهبان وبلغ الخبر نزارى وطار فى افنائها فخافوا الفضيحة فركبوا الى تهامة من نجد وحرضهم الشعراء على الاجتماع وحذروهم الفرقة وناشدوهم الارحام وذكروا فى اشعارهم ان ابن ذى الحارث يريد استيصال ولد الخليل عليه السلام وكان من قال ذلك عوف بن منقر التيمي وهو ابو البيرس خالة جساس بن مرة والابرص بن عبيد بن الابرص ومالك بن الاشجع القطاماني ولما قدمت شعراء نزار الى كليب بن ربيعة بلغ ذلك لبيد بن عنبسة الغساني فكتب بخبرهم الى عنق اللحية فغضب كليب وقال لاعهد لك فينا ولاذمة فتهدده لبيد واوعده ولحق بقومه وقدم على كليب رؤس نزار وشعرائها فتقدم عوف بن منقر التيمي منشداً شعراً .

ابلغ ربيعة عنا ان وادينا	ان سال يوماً بنا لم ينج واديها

وانى من نجاهما من آل ذى يمن ... وان نأت عن قليل سوف يأتيها

لرحامكم تنقف والدار شاسعة ... فلا بجوار ولا آل يدانيهـا

انا انقطعنا اليكم بالدعاء ولا ... يدعى للنائبة الا يعفيها

ولو حكم نزلت لم يدعنا احد ... الا اقرابة ارحام نراعيها

لا يوم من بعد هذا اليوم نخلفه ... ولا بد بعدها ياقوم نجزيها

فاجمعوا امركم والامر فى مهل ... من قبل داهية لاملتوافيها

هذا كليب رضاكم فى الطفان متى ... اعنة الخيل تتلوه ويتلوها

رحب الذراع بندعوا اذا ركبت ... عليها معد اذا جاشت أواذيها

للمستقل لهم بالبين يحمله ... وبالكتيبة ترميه ويرميها

ثم قام الابرص الاسدي وهو يقول :

دعوتكم كي تجمعوا الى فرقة ... وبالله لا بالناس جمع افتراقها

ولو انكم تدعون جئنا اليكم ... على الخيل ملتوباتها وعتاقها

احذركم غدر الملوك فانما ... ارادت معد اكلها باشتياقها

واقسم ان لم تربطوا الخيل بينكم ... وحمير لم تظهر لنسا باساتها

ليصطحبن كاساً من الموت مرة ... اذ اصفقتها حمير فى رقاقها

لنخاف عليكم ان خلوتم بحمير ... خلائقها الاولى وشد عناقها

فثوروا جميعاً لاتكونوا لامة ... احاديث فى امثالها ورفاتها

ثم قام الاشجع الغطفاني فانشدهم قوله شعراً :

الا ابلغ ربيعة لى مقالا ... على بعد الطهر من الجهار

دعاني اليهم من حيث حلت ... بهم احدى الملمات الكبار
اناشدكم بارحام دوان ... عواطف ليس كالسبب المطار
بحرمة امكم منا وهند ... ووبرة اختها بنت الخيار
فقوموا ياربيعة فانصرونا ... وحوزوا فخرها عند الفخار
وولوها اخو النجدات منكم ... كليباً لحمير وال في نزار
اخا الغارات كل صباح يوم ... ربيط الجاش غير المستطار
يقارع عنكم قحطان طراً ... بحد السيف عن حرم الذمار

ثم قام عمرو بن الطرب فانشدهم قوله شعراً :

تجافى مرفقاي عن الوساد ... وبعت رقاد عيني بالسهاد
الا ابلغ ربيعة ان جمعاً ... لحمير مرصد في كل واد
دعونا كم بارحام دوان ... وما فيهن من عقد شداد
فلا يغرركم عنا التوالى ... كفعلكم قديما في اياد
ولا يغرركم ياقوم خلو ... فتضحوا بعدنا امثال عاد
دعوا قيل ليستسقوا فاسقوا ... عقيم الريح يقصم كل عاد
فما الكفران بعدها يكف ... ولا النار المضيئة كالرماد
فان يهلك بنوا مضر يعودوا ... عليكم عودة الحنق المعادى
فثوروا ثورة تعلى نزاراً ... فلا تخشون عاقبة العباد
وولوا امركم منا كليباً ... كليب الفارس المرخى النجاد
يقارع حميراً عنا ويعلوا ... ضراغمها بابيض في طراد

فلما فرغت شعراء مضر أجابتها ربيعة بالنصرة وعقدوا اللواء لكليب
وبلغ ذلك لبيد بن عنبسة الغساني حين انتهى راجعاً فقال لامرأته عمرة
بنت الحباب التغلبية وكانت أمها الوجيهة ابنة عمران بن عامر ملك الازد
فقال لها آتيني بشراب فلما اخذ فيه الخمر قال لها ما بال كليب ينصر مضر
ويتهدد الملوك قالت لا أعلم في ولد اسماعيل ذا لبدة هو أشد منه فغضب
عندها لبيد ولطمها حتى سجرت عيناها ثم قال لها أتزين انك حرة انما انت
امتي فاقبلي ما يأتيك منا معشر الملوك قالت انا اكرم منك جدي عمرو
ابن غنم بن ثعلبة وجدي عامر ملك الازد قال هو الذي منعني منك ولولا
امك الوجيهة قرنتك الى بكرة مشعلة بالقطران ثم زجرتها بك حتى تقطعك
وكانت الملوك اذا غضبت على انسان قرن الى قلوص وطردت به حتى تقطعه
فخرجت مغضبة حتى انتهت الى كليب بن ربيعة وهي تقول شعراً

ما كنت احسب والحوادث جة … انا عبيد الحي من غسان
حتى علتني من لبيد لطمة … سجرت لها من حرها العينان
ان ترض تغلب وائل بفعالهم … تكن الاذلة عند كل رهان
لولا الوجيهة قطعتني بكرة … جرباء مشعلة من القطران

فلما فرغت قال لها كليب ما شأنك فقصت عليه خبرها فقال ارجعي
الى بيتك فلن يعود وان عاد فاعلميني فرجعت الا منزلها واذا هي بلبيد
في أثرها فلما صار بباب الخدر جلس وتغنى بهذه الابيات

طال ليلي فما احس الهجوعا … ارقب النجم في للغاب صريعا

لحديث مراوح قد أتاني	من كليب فزاد عيني سهودا
نحن كنا الملوك من سالف الدهـ	ـر وكنتم لنا قديماً عبيدا
فاقبل اليوم من اتاك به القيل	والا تهلكوا هلاك ثمودا

فلما سمعه كليب خرج حتى هتك على لبيد قبته وقال يا لبيد انت قلت هذا الشعر قال نعم قال كليب لقد حذرنا قومنا غدركم ومكركم قال لبيد فبأي حديث استحللت هتك حرمتي سوى الغدر مع الصهر والجوار قال بلطمك الفتاة ثم علاه كليب بالسيف فقتله وانشأ يقول :

ان يكن قتل الملوك منا خطئاً	او صواباً فقد قتلنا لبيدا
وجعلنا مع الملوك ملوكاً	بجياد تدب تغشى الحديدا
وحلوم تعيش فى فضلها النا	ـس فعلنا ونذكى الوقودا
او ترد انسا الاتاوة والفئ	ولا نجعل الحروب وعيدا
ان يلمني مجاشع من نزار	فأراني فيما فعلت مجيدا

فلما فعل كليب ذلك ساروا وسارت معهم ربيعة حتى خرجوا من تهامة وأجتمعت ربيعة كلها من مكة الى مساله الى كلاب وخرج أخ للبيد حتى اتى ابن عنق اللحية وعنده قبائل غسان فسجد له وبكى طويلا فقال ماخطبك قال اتيتك لواحدة من أثنتين اما ان تدرك ثارك واما ان ترجع منهزماً الى الملك ثم انشدهم شعراً له

يا ابن ذي اللحية المتوج بالملك	وخطب الملوك خطب كبير
اجبرن ذا مصيبة باخيه	هل لما كان من كليب نكير

ان تقد نحوه للسومة الجر د لها بالمدحجين زفير
ادرك الثـار او تقلد عاراً من كليب فاختر وانت بصير

قال ابن عنق اللحية قد بلغني قتل أخيك ولن يضيع دمه و بلغ ذلك نزار وفيه يقول عبيد بن ثعلبة

حللنا بدار كان فيها انيسها فبادوا وحلوا ذات سدحصونها
فصاروا قطيناً للفلاة بغصة رميا وصار اليوم منا قطينها

وكان له جار زبيدي فسأله ان يشركه فى الدار والحجر فكره واصلحه بابل كرما فلحق الزبيدي بقومه واخبر الناس بعجائب حجر اليمامة وقال ان عبيد اوجد بها رجلا من أهلها يجتني ويقول :

تقاصري كي اجتنيك قاعدا اني ارى حملك ينمى صاعدا

فحمل عليه بالرمح فصالحه على الشركة ثم طرده عنها فسألته ان يشركني فاحتذرني بابل وعطا وكان اهلها هزان من بقية جديس بن عامر بن سام ابن نوح فحالفوا عنزة بن أسد بن ربيعة فاتخذوا فيهم نسباً ولزموا بعض اراضيهم وتتابعت بكر الى اليمامة وكثر بها النخل وعظم شأنها حتى صارت مجلساً للعمال وموضعاً للولاة وبها اليوم كثير من المهاجرين من عهد الخلفاء وفيها من القرا والمدن قرية بين الكرس[1] ينزلها بنو عامر بن ذهل بن الدؤل وبنو عدى بن حنيفة وهى كثيرة الاودية والقرا والمدائن وا كثرها ربيعة ولهم خفاراتها وفيها للعرب الاشعار و الامثال

---

(١) الكرمي : قرية من قرى اليمامة

اول رئيس في ربيعة

قال محمد بن اسحق اول بيت رأس من ربيعة بنو ضبعة ربيعة بن نزار وفيهم كانت الحكومة وكان اليهم لواء ربيعة كابراً عن كابر الى الحارث الاضخم وانما سمي الاضخم لضخم كان فيه وهو الحارث بن عبدالله بن دوقة بن علمه بن حرب بن احمس بن ضبعة بن ربيعة بن نزار وهم رهط المتلمس الشاعر وكان اذا غزا وغنم اخذ الصفى لنفسه من الدروع الموضونة (١) والضريبة من الذهب والفضة والمال الصامت وكان يسهم من حضره من يماني ونزار كرماً ومنعة وفيه يقول المتلمس .

وكنا اذ الجبار صعر خده　　اقمنا له من ميله فتقوما

اذا اختلفت يوماربيعة صادفت　　لنا حكماً عدلا وجيشاً عرمرما

وكانت للاضخم على كل بطن من ربيعة قلوص (٢) يأخذها ظلماً قال الشاعر:

فيه قلوص الظلامة من وائل　　تساق الى الحارث الاضخم

فمن شاء منهم أبا هضمه　　ومن شاء منهم اذن يهضم

لمن تحولت الرئاسة

ثم تحولت الرياسة الى عنزة بن اسد بن ربيعة فقام فيها الحارث بن الدئل ابن صباح خليل سليمان بن داؤود عليه السلام وكان من سفته تصفير لحيته

---

(١) الموضونة : الدروع المنسوجة بالجواهر

(٢) القلوص : من الابل الطويلة القوائم . الشابة منها او الباقية على السير

ولحا قومه ليعرفوا به وفيه قال عمرو بن هند في مثل ضربه لرجل يقال له مالك

يا مالك بن مالك دعي الخنا   والبغى ان البغى مزرو بالفتى

لو كنت من ربيعة الصغر اللحا   من بعد المسايرين ما عدا

فجهز وفداً الى ابن عنق اللحية منهم الاحوص بن جعفر بن كلاب في جماعة لاطلاع خبره وطلب الصلح والدية فكتب اليه بخبرهم الى صهبان ابن ذي الحارث وغضب وقال كان كليب ابدا لنا صفحته واعترض للملوك ثم ارسل بخيل ورجال وعدد وأموال ومزاد كثيفة الى ابن عنق اللحية وأمرهم بالخروج الى نزار فلما بلغت الجنود ابن عنق اللحية اخرج لهم الموائد ثم سقاهم الشراب وأنشأ يقول :

ما كنت أحسب ان تغلب ابنة وائل   ترضى بقتل كليبها للبيد

فاليوم اذ قتلوا لبيداً فالشجى   مني لذلك دون قطع وريد

فيدى لهم رهن بكل طمرة [1]   مثل العقاب وشطبة [2] بقيودي

يخرجن من طلل الغبار عوابساً   لحق الاياطل [3] كالرشا المحدود

حتى اصبح تغلب ابنـــة وائل   حرباً يشيب ذوائب المولود

فسار اليهم بقبائل اليمن حتى التقوا بماء يقال له الكلاب فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر القتل في بني عمران بن تغلب ثم شد كليب على فارس من

---

(١) الطمرة : الفرس الجواد الطويل القوائم

(٢) الشطبة : الفرس السبطة اللحم

(٣) الاياطل : جمع الايطل وهو الخاصرة

لحم فطعنه طعنة فدق صلبه واستنزله عن فرسه واعترك عليه الحيان وكثر القتل فانهزم ابن عنق اللحية باصحابه بعد قتل كثير وحامت بنو اناتش من همدان على لوائها الى ان حجز الليل فلما اصبح اقبل عمرو بن بابل اللخمي وكان من خواص صهبان وفرسانه الذين بعثهم فصاح فى آل ذي نواش وقبائل اليمن فاقبلوا عنقا (١) واحداً فقاتل بهم حتى كثر القتل ثم نادى الثانية ونكفهم (٢) وقال « جدعاً وعقرا باشر خلف عن خير سلف اتقتلكم عبيدكم » فقاتل بسهم الى العصر وحمل كليب على عمرو بن بابل وكان من الملوك فحال اصحابه دونه بالرماح ويروى انهم عرضوا دونه اربعة آلاف فارس فشق كليب رماحهم حتى طعنه فقصم صلبه وحملت ربيعة فى اثره حملة رجل واحد فتفرقت عند ذلك جموع حمير وكانت الدائرة على اهل اليمن وأسرت ربيعة منهم أسارى كثيرة فمر كليب واذا هو بالاسعد اللخمي يقول ويهجو ابن عنق اللحية ويمدح عمرو بن بابل فقال شعراً :

ان القتيل الذى جرت مصيبته	يوم الكلاب على ابن اللحية العارا
اهدى كليب له نجلاء فاغرة	يحكي القليب (٣) وما الفاه فرارا
يدعو باسمك والخطى شاجرة	لله درك ان لم تحم عمارا
ماذا اعتذارك فى قوم قصدت بهم	خوض المنيـــة ايراداً واصدارا

(١) العنق : الجماعة

(٢) النكف : مصدر نكف . ونكفهم ميرم

(٣) القليب : البئر القديمة

حتى اذا الخيل ابدت عن سرائحها[1] ... الفيت نصلك بين القوم خوارا[2]

ما كان والدك الازدي بذي فشل ... بل كان يعتد للانصار انصارا

قلباً وكفاً وسيفاً ناصرين معاً ... والدرع والبيضة البيضاء وخطارا[3]

غسان صبراً لحيا وائل صبرت ... كلا تحدد انيابا واظفاراً

يكسون هام ملوك الناس ضاحية ... بيض الصفائح ضرباً يشعل النارا

ان الكلاب بها قتلى مصرعة ... كانوا لنـــا سبة مامثلها عارا

ياليت امك لم يقبل تنفسها ... ايدي القوابل أو لم تلق اطهاراً

وقال عمرو بن معاوية التغلبي :

اتانا بن حنق اللحية القيل قادراً ... على امره من تغلب ابنة وائل

يجر الينا كل اجرد سابق ... وشطباء كالشاهين[4] بين الاجادل

فراح وكمت[5] الخيل تعثر في الدما ... على مثل ايدى النائبات الثواكل

ولما التقينا بالكلاب كاننا ... اسود الثرى لاحت اسود الجلاجل[6]

---

(١) السرائح . جمع سريح والسريح من الخيل العربي . والمعنى انها تلقى بسرجها من شدة ركضها .

(٢) النصل . رأس الرمح والخوار المنكسر او الرخو .

(٣) الخطار . الطعان بالرمح . او الرمح .

(٤) الشاهين . طائر من جنس الصقر طويل الجناحين والاجادل واحدها اجدل وهو الصقر .

(٥) الكمت . من الخيل ما كان لونه بين الاسود والاحمر .

(٦) الجلاجل . واحدها جلجل وهو الجرس .

اذا اعترضت خيل العدو رأيتها ... كشاء الفلا فى الذعر قب الاباطل
وغنت كليباً خيلها بصهيلها ... حواليه مثل الرعد صوت الصواهل
فدرنا ودارت غمرة الموت بيننا ... نطاعن عن اصحابنا بالقنوابل
فولت ذرى قيس واستوسقت[١] لنا ... قبائل تتلوها رقاب القبائل
رميناهمو بالفيلق[٢] لجم فالتقت ... فوارس ما تخشى ورود المناهل
كأن لذي يلق الحمام بقوته ... ولم ينج منها من يعلل بنائل
وطارت بعنق اللحية القيل شطبة ... ولم يحض من حد الثناء بطائل
وولت على اعقابها الخيل شردا ... يكسر فى اعجازها كل ذابل
فاقسم لو ادركته لتركته ... صريعا ذليلا الحظ بين القناطل
وافرد ربدا فى الفلاة كأنه ... فنيق[٣] هجان فى نعام شوائل
وشد كليب شدة ورماهم ... شوارع فيه بين صاد وناهل
فافرجت الخيلان عنه ورمحه ... خضيب من اللخمي عمرو بن وائل
وقد مات منهم من صرعنا فريسة ... سباع على هامات قوم افاضل

وقال بن عنق اللحية واسمه عمرو فى ذلك :

ظننت ظنوناً وقد اخلفت ... كما اخلف السفر[٥] لمع السراب

---

(١) استوسقت . اطاعت واذعنت .

(٢) الفيلق . الجيش العظيم والجمع فيالق .

(٣) الفنيق . الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته .

(٤) السفر . المسافرون .

وقالوا الغنيمة في وائل ... فسرت بجيش كمثل السحاب

فوارسها الشم من عامر ... وعمرو ولخم وحي شهاب

وحي البراجة الاعظمين ... ومن حي سعد وحي الرباب

اقود خميساً (١) له ارمل ... وقد قادني الحين نحو الكلاب

الى اسرة غير ميمونة ... اذا ابتدت الحرب حمل الكعاب

فدارت رحاهم على قطبها ... وفرت هنالك عن حدناب

دهاها الاراقم مثل الليوث ... كاسد خوارج من بطن غاب

فصاح النزال ولم يسخطوا ... ولم يك فيما نووا من عتاب

وقد افحم الحرب عند اللقا ... بطعن النحور وضرب الرقاب

ووقع السيوف على الدارعين ... واسر الكماة وجمع النهاب

اذا ارخت الخيل اذانها ... وقد القلوب نياط الحجاب

وقال مهلهل بن ربيعة فى ذلك :

لو كان ناه لأبن لحية زاجر ... لنهاه عنه وقعة السلان

يوم لنا كانت رياسة اهلها ... دون القبائل من بني عدنان

غضبت معد غثها وسمينها ... فيه ممالات (٢) على قحطان

وازاله عنها الكمى بطعنة ... اشجى لها الثقلين من همدان

فلمثلها كف ابن لحية نومه ... نوم الملوك ويقظة الوسنان

---

(١) الخميس . الجيش لان له خمس فرق .

(٢) الممالات . الاتفاق والتعاون على الامر .

لما رآنا بالكلاب كاننا　　اسد ملاويه على خفان
ترك التي سحبت عليه ذيولها　　تحت العجاج بذلة وهوان
فنجى بمهجته واسلم قومه　　متسربلين (١) رواغف المران
يمشون فى حلق الحديد كانهم　　جرب الجمال طلين بالقطران (٢)
نعم الفوارس لا فوارس مدحج　　يوم الهياج ولا ذرى غسان
نهضوا الغداة بكل اسمر بارق　　ومهند مثل الغدير يمان

قال فلما انتهى ابن عنق اللحية الى صهبان بن ذي الحارث اخبره بذلك فامتلأ غيظاً وغضباً وبعث الى اليمن اقصاها وادناها وحشد الجيوش وصار للملك المقصور ابن آكل المرار في قبائل العرب فالتقوا في بطن ذي اراط فاقتتلوا سبعة ايام تباعاً حتى كثر بينهم فيها القتلى ولا يظفر بعضهم ببعض وكان عبدالله بن جعدة شديد الظفر ؛ وكان شديد البياض ، فاذا نظر اليه آكل المرار وقد غشيه العدو بالرماح قال لهم اتقوا الله ولا تفتروا ، فلما كان اليوم السابع انهزمت اهل اليمن وظفرت بها ربيعة وقتل ذلك اليوم يزيد ابن عمرو الأشجعي وهو جد بني علي ونادى اخاً له ابن جعفر بن كلاب والناس يقتتلون : ألا من يشد معي على القوم فشد معه قيس بن نصالة ويزيد ومعاذ ابنا حارثة بن عمرو بن كاهل بن اسد بن خزيمة فى فرسان حتى انتهوا

---

(١) الرواغف . الرماح لسيلان الدم منها . والمران اللدنة في صلابة .

(٢) القطران . سيال دهني يتخذ من بعض الاشجار كالصنوبر والارز .

الى القوم فشقوا المزاد [١] التي كانوا يشربون منها وكانت حضرموت [٢] جل العسكر فانهزمت وقتلت ولم يبق منها الى قليل وهلكت قتلا وعطشا.

موقف تبع اليماني

ولما بلغ ذلك تبع اليماني وهو تبع الاكبر ابن عمرو ابن الاذعار بن ابرهة ذي المنار بن ياسر وهو الحارث بن قيس بن صيفي بن سبا الاصغر بن كعب ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن عبدشمس بن وائل بن عبدالغوث ابن قطن بن عريب بن ايمن بن الهميع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن عابر وهو هود عليه السلام وذكر اهل يثرب ويهود خيبر انه كان يردهم الى عبادة النار وكانوا لنزار احلافاً واصهاراً وخبرهم يطول شرحه وفيه يقول :—

ياذ الكلام كانني مورود	من دار حمير فالفؤاد عميد
نادى معاهد من ابيت قعود	اقذاء عينك عادها ام عود
منع الرقاد فما أغمض ساعة	نبط [٣] بيثرب آمنين قعود
نبط اسارى ما ينام سميرهم	لابد ان يسليهم مورود

(١) المزاد : القربة او حوض للماء من الجلود

(٢) حضرموت : اسم قبيلة واسم موضع نزله حضرموت بن قحطان فسمى به

(٣) النبط : اخلاط الناس وعوامهم . ويثرب : مدينة رسول الله (ص) سميت بذلك لان اول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل

لا تسقني بيديك ان لم تلقها | صرر(١) كأن اسافها مجرود
بسيوف حمير والمقاول وسطها | والخيل تبدو ساعة وتعود
ما بال حمير لا يحى ربها | وسراة حمير بالسيوف شهود
فلأخضبن سبالهم(٢) بدمائهم | ولتعفرن معاطس وخدود
ولقد نزلت على هوان حقبة | اسرى اقاتل ساعة واذود
ولقد شددت على يمامة شدة | ذلت وهدت حصنها المشدود
ولقد حطمت حصون سيب(٣) بعسكر | وعلى حصونهم قن ولبود

فاجابه كليب بن ربيعة :

ياذا الكلام نسيت عقد جدودي | فلما اتمت وانت غير حميد
لم اسر بالغمرات ان لم ألقكم | شهباء مثل صرائم الاخدود
حتى انازل تبعاً بكتيبة | شهباء ليس ورودها كورودي
فرجال تغلب والاراقم وسطها | والخيل بين مجنب ومقود
ورجال بكر ملجمون خيولهم | ما بين قرم سيد ومسود

ماذا في ثنية الجبلين ؟

فلما بلغ هذا الشعر الى تبع امر بالجيوش وعقد الالوية وتجهيز العساكر

---

(١) الصرر : السنبل بعدما يقصب . والاساف : النبات
(٢) السبال : مقدم اللحية . ويقال للشعر الذى على الشارب والمعاطس: الانوف
(٣) سيب : رحبة من رحاب اضم بالحجاز و « القن » عبد ملك هو وابواه ؛ وهو بلفظ واحد للمفرد والجمع واللبود : كل شعر او صوف متلبد .

الى نزار وترك يثرب ويهود خيبر فالتقوا بثنية الجبلين فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان ذلك اليوم على مقدمة نزار عقبة بن ربيعة بن زهير فلق رأس الصف فقتله فقيل فى ذلك شعراً :

هذاك عتبة شال جثة رأسهم … بمثقف فيه سنان ازرق

لما التقينا بالسيوف وبلقنا … والهام من وقع السيوف تفلق

حباه طعنة باسل ذى نجدة … من تحته عبل المرافق مطلق

اسرى اليمن

قال واسر ذلك اليوم النمر بن عثمان سيد اليمن ونسوة فقال التبع اليماني فى ذلك شعراً :

ان بيتي الذى بنى الى قحطان … طويل العماد وصعب المراق

هو سهل على حزن لغيرى … مستظل منطق بنطاق

ليس شئ يرومه وله با … ب من العز مرصد بالوثاق

كل من رام فتحه او رآه … خرجت نفسه من الاشفاق

دونه عسكر تضيق به الارض … عظيم مروق برواق

ذاك بيتي واى بيت كبيتي … او مذاق في الطعم مثل مذاق

ذاقني الناس فاحتسوا يوم سم … سم أفعى إعي بها كل راق

سار شعر الى الاقاصي من الارض … بخبل تقاد فى الافاق

لست بالتبع اليماني ان لم … تصبح الخيل فى سواد العراق

وعليها شباب صدق كرام — يحسنون الطعان يوم التلاق

انما النمر خيرنا وهو منا — ان فقد الكرام في القلب باق

سرقوه منا وآباؤه الشم — فعندي عقوبة السراق

سوف ارميهم بشعث ومرد — فوق جرد مسومات عتاق

فاذا ما الحروب شابت فكانت — مهجات النفوس عند التراق

واستدارت وأظلمت وتظلت — لمتاح وقلصت عن ساق

القحوا نارها وشبوا لظاها — برماح مسنونة الاوراق

ليس حي مفاخراً لرجالي — او مجار لهم غداة السباق

وسباً في ملوك قحطان الا — عاش ما عاش في اشد وثاق

قتل الاسير

قال فلما بلغ هذا الشعر كليباً والنمر في يده اسيراً غضب من ذلك وقدم النمر فضرب عنقه وانشأ يقول :

غضب التبع اليماني جهلاً — اذ ثوى النمر عندنا في الوثاق

برهة ثم صار بعد قتيلا — ليس حي على المنون بباق

وضربنا مفارق الرأس منه — بحسام يهوى الى الاعناق

ايها الموعد الذي ليس يخشى — قد نهيناك عن سواد العراق

ابلغ التبع اليماني انا — فوق جرد مسومات عتاق

نضرب الهام بالمهند ضرباً — وسنوم العد وطول السياق

رب ملك متوج قد قتلنا   كان ذا عزة عظيم الرواق

فسلبنـاه ملكه واستجنا   ملكه لا يقيه من ذاك واق

الافوة المتوجون

فلما انتهى هذا الشعر الى تبع سار فى قبائل اليمن وسار صهبان بن ذي الحارث فى الجيوش والجنود العظيمة واقبل ومعه تسعة اخوة له متوجون وهو العاشر كل واحد منهم مقدم على فرقة من حمير وجعل على اود وجميع مذحج الافوة بن صلاح الاودى ؛ وعلى جميع همدان عمرو بن المطاع ؛ وعلى بني الحارث بن كعب ؛ يزيد بن الريان بن قطن الحارثي ؛ وعلى قضاعة اليمن عمرو بن زيد المالكي ؛ وسار حتى نزل حزازي وبلغ ذلك كليب فسار بمن معه من قبائل نزار واحلافها وجعل على مقدمته السفاح بن خالد في خيل ربيعة ؛ وجعل على تميم وضبة يزيد الفوارس وعمرو بن منقر التميمي وجعل على كعب كلها وغطفان الاحوص بن جعفر بن كلاب وجعل على قبائل غطفان وقيس مالك بن الاشجع .

فارس نزار

حدثني من اثق به غير واحد من العرب ان كليب بن ربيعة كان رأس الناس يوم السلان وفارس نزار وكان رأس نزار يوم حزازى الاحوص بن جعفر ابن كلاب والمشهور ان يوم حزازي ايضا كان لكليب على بكر بن مرة ابن ذهل بن شيبان وهو ابو جساس ، وعلى بنى ذهل حارثة بن ابي ربيعة

بن ذهل الشيباني مع يشكر وجعل مالك بن ضبعة جد طرفة بن العبد على بني القيس بن ثعلبة وجعل عبد العزى على بني حنيفة وقدم السفاح بن خالد بن ربيعة الى حزازى ليهتدوا بها فان غشيه العدو أوقد نارين فسار فلما اوقد حملت عليه اهل اليمن فاوقد ناراً اخرى فكان اول من اتاه ربيعة وتتابعت نزار فاقبلت تميم فنزلت على حبلة فاوقدت فيها ناراً واقبلت بنوا اسد فنزلت على طفسه فاوقدت فيها ناراً واتصلت الجموع وفى ذلك يقول السفاح : —

وليلة بت اوقد فى حزازى	هديت كتائب متحيرات
ضللن من السهاد وهن لولا	سهاد القوم امست هاديات
فلن مع الصباح على جذام	ولخم بالسيوف مشهرات

وقال الاحوص بن جعفر بن كلاب : —

اسهمي اذ حدت رهينة	للالف مصطلماً تمام الغرم
كانت نزار عند ذاك عشيرتي	تحنوا علي وعامر لهم دمى
اوقدت فى ركني حزاز لتغلب	فاستنورت وضح السنا المتضرم
وعلى سرابيل الوقود لمعشر	منهم بنو شيبان اهل تكرم
وبدا سنا لهب الوقود فاقبلت	غطفان فى لحج بجمع مضخم
والحي من اسد فشق مزادهم	يوم الوقيعة مالك بن الخثعم
تركو الايامن يوم ذاك وذكرهم	مثلا لعاله ومن لم يعلم
وحميت قومي ان تنال حريمهم	ان الكريم لدي الحفيظة يحتمى
ولقد تركنا بعد ذاك بقية	من يجبه من يجب للمتوسم

معركة حزازى

فلما اصبح صباح كليب ميمنة وميسرة والتقوا بحزازى فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكل على حامية بعد كثرة القتل من الحيين ثم تصابحوا فى اليوم الثاني فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكثر القتل ثم تعاودوا فى اليوم الثالث فالتقوا الرماح وتجالدوا بالسيوف وصمدت مضر وعبد القيس لمذحج بعد كثرة القتل والجراح واقبل الافوه جريحاً حتى لحق بقومه وصابرت همدان الى المسا وحامت على احسابها وصابرت قضاعة في اليمن وكانوا على بني شيبان فقتلوا بجير الشيباني فى جماعة من قومه وفيه يقول الشاعر : —

كانت لنا بحزازى وقعــــة عجب   يوم التقينا وحادي الموت يحدوهـا
كنا على بني شيبان اذ هربوا   كالخشب مال عليها سيل واديها
قومي قضاعــــة حي بأسها نزر   نهد وجرم وفولان تواتيهــــا
وحي همدان حامت في كتائبها   وحمير لا تبالي من يعاديهـــا

ثم تعاودوا فى اليوم الرابع ففيه كان الهلاك والفنا وقتل اكابر اليمن وسادة الحيين وقتل عمرو ابن مطاع الهمداني واخوه حسان فى رجوة همدان وشد كليب بتغلب على حمير وقد صابرت على الموت وكثر القتل في حمير واسر كليب سبعة من اقيالها[1] وكثر فيها القتل فانهزمت وقتلت ربيعة منها كثيراً وسبوا واستقلت مضر بالنهب وراح التبع الاكبر فى عنق[2] من

(١) الاقيال . جمع قيل وهو اسم لملوك حمير

(٢) العنق . الجماعة

قومه وعليه الدائرة وفى ذلك يقول عمرو ابن كلثوم :

ونحن غداة اوقد فى حزازى | رفدنا فوق رفد الرافدينا
وكنا الايمنين بها صفوفاً | وكان الايسرون بني ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم | وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا | وإبنا بالملوك مصفدينا

وقال الفرزدق :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل | اخذ العزيز عليك كل مكان
قتلوا الصنائع والملوك واوقدوا | نارين قد عليا على النيران

وقال كليب يذكر اجابته مضر وقتلهم ملوك حمير واليمن :

دعاني داعياً مضر جميعاً | وانفسهم تجايش بافتتان
فكانت دعوة جمعت نزاراً | ولمت شعثها بعد افتراق
اجبنا داعياً مضر وسرنا | الى الاملاك بالقب العتاق
عليها كل ابيض من نزار | سياق الموت كرهاً من سياق
امامهم عقاب الموت يهوى | هوى الدلو اسلمها العراق [1]
فاردينا الملوك بكل عضب | وطار هزيمهم حذر اللحاق
كأنهم النعام غداة عافوا | طمان الخيل فى حمة التلاق [2]
فكم ملك اذقناه المنايا | وآخر قد جلبنا فى الوثاق

---

(١) العراق . المطر الغزير

(٢) الحمة . الشدة

وقال ايضاً :

لقد عرفت قحطان صبري ونجدتي غداة حزازي والحتوف دواني
غداة شفيت النفس من حي حمير واورثتها ذلا بصدق طعان
دلفت[1] اليهم بالصفائح والقنا على كل ليث من بني غطفان
وحي تميم قد اجابت بخيلها وكل هوازي وكل كنان
ووائل قد جذت[2] مقادم يعرب تصدقها في فخرها الثقلان

وقال ايضاً .

غضبنا دون اخوتنا فقمنا مقام المشملات[3] من السباع
مقاماً هتك الميدات عنا واسعد كل داعية وداعي
تلالا كالحريق بجنح ليل وفيه الريح في قصب البراع
فادركنا بها كنا اضعنا وايام الوغى صاعاً بصاع
وغادرنا الملوك ومن حمال كخشب الاثل مصغر الذراع
واسباب المنايا مولعات بفرسان الحمية والدفاع
تقاصر ملك حمير بعد طول ورأى الملك ليس الى انقطاع
واى بنى اب عاشوا جميعاً فلم يتفرقوا بعد اجتماع
رأيت الدهر ما يشبه يوماً سيأتي بعده يوم انصداع

(١) دلفت . مشيت
(٢) جذت . قطعت
(٣) المشملات . السيوف القصيرة ، ويطلق على الخناجر ايضا .

وليس الدهر عن احد براض ... فيأمنه ولا عهد يراعى

اذا اوفى على شرف بقوم ... اعاد بخفضهم بعد ارتفاع

بني قحطان قدحرمت عليكم ... حلائلكم[1] بعاقبة السباعى

واسلام الملوك ولم تحاموا ... وقـد علموا بأني ذو دفاع

ملوك كالاسنة لاحقتهم ... اسنتنا باودية اليفاعي

تركنا آل ذي حرب جثوماً[2] ... على اللبات كالغنم الرتاع

تذودهم السباع وقد تردت ... ثيابهم من العلق النجاع

فاسى اخي شباب لم ترعه ... كما ريع الفواة[3] الى الشماع

دلفنا بالسيوف اليه حتى ... اقتنيناه بصبر وامتناع

وقد علمت بنو قحطان لما ... تألفت القبائل للقراع

بانا لم نكن سواق[4] عير ... باجرده ولا فقعاً بقاع

صدفناهم فالقوا بالأماني ... ولم يبق صبرهم عند الوقاع

بضرب لا يرد له دراك ... يقد الهام من تحت الخناع

شظايا[5] هامهم فلق ويشفى ... بهامات الملوك من الصداع

---

(١) حلائلكم. زوجاتكم

(٢) الجثوم . المقود . واللبات . جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر .

(٣) الفواة . موت الفجأة . والشماع . الطرب والضحك والمزاح .

(٤) السواق : جمع سائق . والعير : الاباعر . والفقع نبات معروف تحت الارض

(٥) الشظايا : القطع

فولوا بالدوائر واتقونا ... باهل الصبر منهم والدفاع
فكم ملك اخذناه اسيراً ... وآخر غادروا شلواً بقاع
وآخر قد تركناه صريعا ... على الركبات ليس بذي كراع [1]
ونكب شجوها ابيات عمرو ... وحسان العلا ولدى مطاع
فابدلنا الحلوق بهم حلوما ... وبعض الضر عاد الى انتفاع
وان ينهاك عن حرمات قوم ... كثل الطعن والضرب السباع

اين الملوك والاقيال ؟

ولما رجع الأفوه ابن صلاح الاودى الى ابنته قالت اين اخواني قال قتلوا جميعاً . قالت فاين الملوك قال قتلوا قالت فاين الاقيال من حمير قال اسارى في جوف كليب قالت فاين حقك ونصيبك قال هذه الجراحات وانشأ يقول :

لما رأت بشرى تغير لونها ... من بعد بهجته فاقبل احمرا
الوت بأصبعها وقالت انما ... يكفيك مما قد ارى ما قدرا
اني ذوابة مذحج وسنامها ... وانا الكريم ذرى القديمة كررا
قولي لمذحج عاودوا لدخولكم ... لولا يجيبوا دعوتي حلب الصرا
كان افتخار يمانياً متقحطناً ... واراه اصبح شامياً متنزرا
ما خير حمير ان تسلم مذحجاً ... او خير مذحج ان تسلم حميرا

---

(١) الكراع : من الانسان مادون من مقدم الساق .

وكان الافوه يروم الرياسة والغزو بقومه امبنائل نزار فاخلفه ظنه وافترقت عنه الناس فاجابه مرة ابن ذهل الشيباني : —

شفت النفوس سيوفنا من مدحج والحى همدان وذروة حميرا
فالقوم بين مجدل ومصفد بالقيد يختار التوارى بالثرا
فغضبتكم لما قتلنا جمعكم واذا قتلتم غيركم فيه الزرا
ما انصفت احكامكم فاستنصفت منها الاسنة والسيوف بلا افترا

وكثرت الاشعار بين الحيين في وقعة السلان واراط والكلاب وحزازي والجبلين بالمفاخر والوعيد والقتل والنهاب والمغازي وانتشر ذكر كليب وارتفع ذكره فى الاقاليم ووفدت عليه الشعراء واهديت اليه المدائح

الجزء الثالث

كليب وجساس وما جرا بينهما

قال محمد بن اسحق المطلبي كانت ديار ربيعه من نزار والفافها ومواليها مابين مكة ووادي كندة وبطن ذات عرق وما ولاها من البلاد وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة : —

عمرت قديم تهامة فى الدهر وفيها بنو معد حلولا
فتساقوا كؤساً امرت عليهم بينهم يقتل العزيز الذليلا

وفارقت ربيعة مضر لحرب كان بينهما بعد قتل كليب بن ربيعة وفيه قال سعد بن مالك جد طرفه بن العبد : —

عمرنا بابنة البكرى قدما تهامة دارنا فى حسن حال
بها قيس وشيبان جيعاً ذوى الالباب والايدي الطوال
فسيرنا اخونا واحتواها وليس اخوك غير اخ موالى
فبدلنا الاله بها سواها بلاد جنة وثراة مال

قال محمد بن اسحق وخرج من اولاد ربيعة عمرو وعامر ومعمر بن عمرو بنى معاوية بن عمر بن زيد بن عامر بن ربيعة فخالفوا كندة وانتسبوا الى معاوية بن ثور بن مرقع رهط حجر آكل المرار وهم اشراف كندة ولذلك اجتمعت كندة وربيعة فى الجاهلية فى راية واحدة وفى ذلك يقول شاعر ربيعة

اتركت جدى يا معاوى قيدرا وتبعت ابنى مدحج والمرفع
ابدلت قومك بالاباعد للشقا ولكنت لو ابصرت غير مروع

ولحقت بنو عابس وعامر ابنى ربيعة بارض اليمن ودخلوا فى مراد الى اليوم وخرجت بنو معاوية بن قاسط وانتسبوا فى عدى بن الحارث بن مرة ابن زيد بن كهلان وهو ابو لخم وجذام قال محمد بن اسحق واقامت ربيعة على ما ذكرنا تنتقل فيها الرياسة من قبيلة الى قبيلة حتى انتقلت الى ربيعة ابن مرة بن زهير بن جشم وكان صاحب لواء نزار فى وقعات الحروب الى ان قتلته قحطان يوم وقعة السلان وصار اللواء الى كليب وهو اكبر ولده

واسمه وائل بن ربيعة وكان من فرسان العرب واشرافها وشعرائها وكان في معد ثالثاً في اثنين وهو افضلهم عامر بن الظرف العدواني وقرة بن ساعدة الايادي فلما عظم في نفسه واشتهر في العرب وعقدت له نزار ولايتها وقبض على نواصيها نكافي العرب واخذ بثار ابيه من قحطان في حزازا وغيرها ولم تهزم له راية في الجاهلية فلما استحكم امره بلغ منه انه يحمى الكلاء فلا يرعاه غيره وكان يجير على الدهر ولا تخفر ذمته وكان لا يتحدث احد وهو جالس الا ان يتحدث جواب عليه وكان يجير الجراد ويقول صيد كذا وكذا في جواري فلا يصاد غير ذلك الصيد ولا يمس قال بن اسحق وكان قد اتخذ جرو كلب فكان يكتفه ثم يقذفه في الحمى وفي الروضة المخصبة التي تعجبه فيحميها ولا تقرب ويجعله الى جانب البئر والحسو فلا يقرب احد ذلك الماء وبه سمي كليب وانما كان الناس يسمون الحمى المرعى والماء هذا لكليب فيقال نعم هذا حماه كليب فجعلته العرب حديثا حتى تناول الاسم الرجل وشهر به وكان اذا انتجع ومعه ربيعة اوقد النار ولا توقد مع ناره نار ولم يحمل احد مع راحلته متاعاً ولم يجر احد في ذمته ولا يتعدى احد في زمانه وائل ولا نزار .

وفيه يقول شعبة الضبي :

يظن انيق انني سأطيعـــه	واني سأعطيه الذي كنت امنع
اذا اغرورقت عيناه واحمر وجهه	وقـد كاد غيظا جلده يتقطع
ويقدم في الظلم المبين عامـداً	ذراعاً اذا ما ارحبت لك اصبع

كفعل كليب حين اخبرت انه يخطط اكلا للبــلاد ويمنع
يجير على حياه بكر بن وائل ارانب شتى والضبـــاء فترتع

قال ومكثت كليب على شرفه وعزه زماناً من الدهر وكان له اربعة اخوة عدي وهو مهلهل والسجاد الشاعر وامرئ القيس وعبد الله بنو ربيعة ابن مرة بن زهير قال وكان بكر وتغلب قد نزلوا فيما بين الذنائب والكلاب وواردات والقصب وما ولاها وذلك بعد حرب حزازي ويقال ان قحطان هي التي اخرجتها عن تهامة وقبل مضر وكانت بنو جشم رهط كليب من تغلب وهي الاراقم وبنوا شيبان بن ثعلبة بن بكر رهط جساس بن مرة متألفين الصهر والحلف والمحبة وراس بكر يومئذ مرة بن ذهل بن شيبان وولده الاكبر همام بن مرة اخو جساس وكانت الجليلة ابنة مرة تحت كليب واختها مارية ابنة مرة تحت اخيه مهلهل ودارهم واحدة ببطن شيب والاحص من تهامة وبه هاجت بينهم الحروب عند علو راية كليب ومقال العرب لكل عزيز الست اعز من كليب .

البسوس بين بكر وتغلب

قال محمد بن اسحق لما حمى كليب ارض العالية من تهامة وجعلها من اول الربيع ممنوعة لا يدخلها الا اهله واهل اصهاره بني مرة بن ذهل بن شيبان وكانوا اخلاطاً واصهاراً وكان ولد مرة بن ذهل عشرة رجال همام الاكبر وكان سيد بكر بعد ابيه وفارسها وجساس وكان ولد مرة بن ذهل

وكان فارس شيبان ومفتاح الفتنة العظمى وهو قاتل كليب بن ربيعة وله العزم والاقدام وثعلبة ونضلة والحارث وجندب وشيبان وذويب ونهثل بنو مرة وكانوا فرسان وائل واشرافها وكان كليب لايزال يطوف بالحى راكبا اذ هو بقنبرة على بيض لها فلما رأته طارت فبعد عنها كرماً حتى عادت الى بيضها وانشاء يقول : —

قنبرة تدعو بالف قنبر   هائفة بين رياض الحجر

لاترهبن خوفاً ولا تنفري   فانت جارى من صروف الحذر

الى بلوغ يومك المقدر

قال ثم طاف وعاد الى داره قال ونزل رجل من جرم يقال له سعد بن شمر ابن قدامة باهله وحرمه وماله على جساس وابيه واخوته آل مرة بن ذهل بن شيبان وكان من اخوال جساس فنزل مع امه الهيلة ابنت منقر التيمي من سعد مناة بن تميم وكانت الهيلة خالة جساس مع اختها من قبله وهي فيما زعموا التي هيجت الحرب بين وائل فسمتها العرب البسوس وانما البسوس كانت امرأة من بني اسرائيل قبيحة الوجه سيئة الخلق وكان زوجها رجل صالحاً اعطي ثلاث دعوات مستجابات فاخبرها بما اعطي فطلبت منه ان يهب لها منهن واحدة ان يجعلها من اجمل النساء فدعى لها فلما اشرفت على الحجرة اظهرت المنكر فدعى عليها فمسخها الله كلبة فبكي ولده وطلبوا ان يعيدوها كما كانت اول مرة فدعى لها فعادت وذهبت الدعوات من اجلها فسميت الهيلة لشرها البسوس بهذه الاسرائيلية فظهر فى الناس اسمها قال

جندب الهذلي : —

فمن كان يرجو الحرب منا فاننا كاحمر عاد أو كليب لوائل

احاذر مانرجي البسوس لاهلها فالقي حامي قبل القي مقاتلي

فلما نزل الجرمي بآل مرة وجاور الهيلة وكانت معه ناقة يقال لها سراب وهي المشومة التي تقول العرب اشأم من سراب وكانت سبب الفتنة وفيها يقول مرثد بن ضرار الذبياني : —

ونحن بنو سعد بن ذبيان لن ترى لدنيا باعمار سيرا أو داحسا

وداحس هو فرس قيس بن زهير التي هاجت فرقة غطفان فاموا ماشاء الله ثم خرج كليب يطالع فاذا بناقة الجرمي مع ابل جساس واهله ترعى في الحمى حتى قربت من عش القنبرة فاقتلعته فدنى كليب والطيرة تصفر وتصيح فتعرفها فلم يعرفها من ابل اصهاره فنادي جساساً وسأله عن خبرها فاعلمه بقصتها فقال كليب فاولى لها ثم اولى لها لقد هممت ان افعل لاتعودن هذه الدفقة في هذا الحمى ابداً بعد اليوم فظن جساس انه قال ذلك ليخرج اهله من الحمى فقال بالله لتعودن مرة بعد مرة ولا تضيم ابل رؤوسها والاومي معها قال كليب وانصاب وائل لئن عادت لاضعن سلاحي في ضرعها وانشأ يقول : —

اني ورب القمر المنير والحجر الاسود ذي الستور

لئن رعت في البلد المحجور وافرغت جاري من الطيور

ناثية في وكرها المخدور لاهتكن الضرع بالمطرور

فاجابه جساس : —

اني ورب الشاعر الغيور وباعث الموتى من بالقبور

وعالم المكنون فى الضمير ان رمت منها معقر الجزور

لاثبن وثبـــة المغير الذيب أو ذى اللبدة المهصو ر

بصارم ذى فتن مشهور

فغضب كليب وانف وقال : —

لقد حميت من جميع الناس من بين افراد الى اقساس

امنعه فكيف من جساس بحيطه الليث ابي الفراس

جهم المحيا سابك الاضراس قصاقص اهبط فى المراس

فاجابه جساس : —

بنا حميت جانبي اقساس الى اباتين الى اوطاس

بحى بكر دون باقى الناس فان تعد بنا الى المراسى

علمت ان العز فوق الراس

فانصرف كليب الى اهله يقول الخيل الى معادها : —

أن الكلام فشل دون العمل وشرسهم طار فى الكهف الفشل

والشيء ما اضمنه مالم اقل وشر ماقال امرئي مالم يفل

وكثرة الاقوال فى الناس خطل

فبلغ جساس قوله فاجابه : —

انا الذى فاعلم اذا قال فعل وثم حى يثبت القول العمل

لو لم يكن قولى وفعلى لم اقل   وشر ماقال امرئي مالم ينل

وبلغ كليب ذلك فغضب ودخل على الجليلة مغضبا فعرفت مابه فقالت يا ابن العم ماغضبك قال ويحك اترين احداً من العرب مانعاً منى جاراً قالت لا اعلم الا ان يكون العم أو بنيه تعنى اباها واخوتها فقال كليب في ذلك شعرا

قد قال والقول هذار زاهق   الا الذي كانت له حقائق

فاتصل بجساس فاجابه بقوله : —

عند الزحام يحمد السوابق   وفى الوعيد تعرف الحقائق

والناس بين كاذب وصادق

فلما بلغ ذلك كليبا ركب الى الحى يريد ان يعقر الناقة فتعلقت به الجليلة وناشدته ان لا يرهق صهره ولا يقطع رحمه وانشأت تقول: —

اخ وحريم داخل ان قطعته   وكيف يسود القوم من قد يسوءها

فما انت الا بين هاتين صانع   وكلتاهما وزر وصعب كؤدها

فاجابها كليب :

ساركب قطفاً للقرين بما اتى   واقطع عنه قطبها فاذودها

مخافة قولي ان اخالف فعله   وسنة عز ان يميل عمودها

اذا ما الموالي خالفت من سفاهة   مواليها تاهت وضل حدودها

فاجابه جساس يقول :

بنا لك اقصى العز حتى تشرفت   بيوتك فيه واشمخرت عمودها

فاصبحت ترميها بنبل بنا استوى   مغارسها فينا وجد جديدها

تجردت من جهل لبكر وانما | احلات في دار للوالي جدودها
على غير ما سوء سوى ان تظنه | فيأتيك فيها آيد لا يؤدها
فان تباع الجود يعقب راحة | بترحة يوم ليس ينجو مريدها

فلما بلغت هذه الابيات كليباً خرج الى الحمى قاصداً لا يلوى على شيء غيضاً وغضباً ولحقه اخوه مهلهل وقد علم بما كان من امره وامر جساس فوعظه وعظم عليه القرابة والصهر والارحام فتنمر كليب وقال انما انت زير نساء والله لئن قتلت اني اخاف ان لا تطلب بدمي فانشأ مهلهل يقول :

أخ وحريم سيء ان قطعته | وسنة عز هد مهالك هادم
وقفت على ثنتين احداهما دم | وحرب بها منا تجر الغلاصم
ومنقصة في هـــذه ومذلة | وشر مشمر كل ذا نتقادم
فما انت الا بين هاتين فانص | وكلتاهما بحر وذو الغي نادم
وكل حميم او أخ ذا قرابة | لك اليوم فيها آخر الدهر لائم
فاخر فان الشمس يحسن آخراً | وقدم فان الحر للغيظ كاظم

فعاد كليب وفكر في امره وخرجت الجليلة حتى دخلت على جساس ولامته فيما فعل فقال تباً لك يا جليلة لقد جئتيني عن ضيم في جاري ان فعل ولم اقتله فامي مثل امه وكانت ام كليب امة قالت اذاً يسلمك قومك ويخذلك ابوك قال وان خذلت قالت اني لاظنك شر مولود في وائل قال نعم ان لم أمنع جاري وان منعته فخير مولود من منع من كليب فذهبت مثلا فخرجت مغضبة فقالت تعس جساس فسألها كليب عن شأنها واين خرجت فقالت

خرجت لحاجتي فألح عليها حتى أطلقته و اتصل به قول جساس ان قتل ولم اقتله فاني مثل امه فخرج الى الحي وترك قول مهلهل ورصد على الماء حتى وردت الابل وكانت ناقة البسوس سراباً قد عقلت خوف الفتنة فلا ترد الماء فلما مرت بها ابل كليب عركت العقال وتصرعت فيه حتى حلته وتبعت ابل كليب لما علم الله تعالى ولم تكن ابل تورد الماء مع ابل كليب حتى تصدر فسارت الناقة حتى اختلطت بالابل ولا علم لاهلها فلما وردت الماء وعرفها كليب وظن ان جساساً اطلقها مغايظة له فاتبعها لما صدرت وفقدت الطريق حتى الحما وهو يتلوها فاكلت من شجرة القنبرة التي اكلت اولادها اول مرة واطارتها عن عش قد عملته ثانياً لا فراخ فيه فعندها انف وغضب ورماها بسهم معتمداً فاصاب ضرعها فانتظمه وردت الناقة رأسها الى مناخها مذعورة يشخب ضرعها دماً ولبناً حتى انتهت الى مناخها بفناء البسوس ولها عجيج ورغاء شديد وانشأ كليب يقول :

يا طيرة بين نبات أخضر ... جاءت عليها سرب بمنكر

خلا لك الجو فبيضي واصفري ... ونقري ما شئت ان تنقري

فانت في حما كليب الازهري ... حميته من مدحج وحمير

فكيف لا اومنه من معشري

ولما سمعت البسوس عجيج الناقة طرحت خمارها واقبلت اليها مسرعة واذا السهم معتدل في ضرعها طرفاه خارجان وعينا الناقة تبدران واخلافها تشخب دماً ولبناً فصكت وجهها وصاحت واجوار جساس واجوار تمام

واجوار مرة واجوار بني ذهل واذلاه والثل بي يلوي فابتدرت اليها الفرسان واقبل جارها الجرمي صاحب الناقة يصيح بالويل والثبور وكان قد أشركها في الناقة فاول من وقع اليها جساس على فرسه وقال مادها كما يا خالة قالت هذا الرجل الذي اجلاكم عن الماء وسامكم الخسيف عقر سراباً وقلدتم بها قلائد النسوان لا يفترق نظامها ولا ينقص تمامها وجعلت تبكيف بني مرة وتؤنبهم وتقول للجرمي شعراً :

لعمري لو اصبحت في آل منقر ... لما ضيم سعد وهو جار لا بياتي

ولكنني اصبحت في دار غربة ... متى يعدو فيها الذئب يعدو على شياتي

فياسعد لا تغرر نفسك وارتحل ... فانك في قوم عن الجار امواتي

ودونك اذ وادى اليك فزجها ... ولا تلبثن الا قليلا باموالي

وسر نحو جرم ان جرماً اعزة ... ولا تك فيهم لاهياً بين نسوتي

اذا لم يقوموا لي بثاري ويصدقوا ... طعانهم والضرب في كل غاراتي

فلا آب ساعيهم ولا سد فقرهم ... ولا زال في الدنيا لهم شر نكباتي

قال وكانت العرب تسمي هذه الابيات المؤنبات فلما سمع جساس واخوته قولها ازدادوا غيظاً وغضباً وحمية ثم اقبل جساس الى خالته فسكتها وقال اسكتي فسوف يصبح غداً جمل معقور هو اعظم من ناقتك وناقة جارك فسكتت وكان لكليب جمل يقال له غلال فلما بلغه قول جساس ظن انه يريد غلال فقال ما يتمنى جساس غلال ودون عقره خرط القتاد في الليلة الطحنا قال ولما ماتت ناقة الجرمي انشأ يقول :

جساس اين العهد والوفا　　جساس من شيمتك الوفاء
ليس امتهان الجار والجلاء　　ومنعه عما به يســـاء
تباً لمن قال هما سواء

فقام جساس الى خالته وجارها فقطع لهما من ابله قطيعاً يرضيهما وقال كليب في عقر الناقة :

ستعلم آل مرة حيث اضحت　　بان حماى ليس بمستباح
وان لقاح جارهم ستغدوا　　على الاقوام غـدوة الارواح
وتضحى بعدهم لحماً عبيطاً　　يقسمه المقسم بالقـداح
وظنوا انني بالخير اولى　　واني كنت اولى بالنجاح
اذا عجت وقد جاشت عقيراً　　تبينت المراض من الصحاح
وما يسرى اليدين اذا اضرت　　بها البغى بمدركة الفلاح
بني ذهل ابن شيبان خذوها　　فما في ضر بغيها من جناح

قال فلما بلغ جساس قوله انشأ يقول شعراً :

انما جاري حقاً　　فاعلموا ادنى عيالي
وارى للجار حقاً　　كيميني من شمــالي
وارى ناقة جاري　　في جواري وظلالي
ان للجار علينــا　　دفع ضيم بالعوالي
فاقل اللوم مهلا　　دون عرض الجار حالي
سأودي حق جاري　　ويدي رمن فعالي

او ارى الموت فيبقى لومه عند الرجالي

قال واقام جساس يتوقع خروج كليب الى الحمى حتى بلغه انه قد ركب الى الحمى فخرج فى طلبه فاتبعه عمرو بن الحارث لينهاه عن لقاء كليب فركض جساس وعمرو فى اثره حتى دنوا من كليب فى حماه وسمع وقع الفرسين وكان لا يلتفت الا لاربعين فارسا الى المائة لجراءته وشجاعته ولا يبالي بما دون ذلك ولم يلتفت ودني منه جساس وعمرو يناشده الله ان لا يطعن كليباً فلم يسمع جساس قول عمرو وعرف كليب ركض جساس فقال من هذا قال جساس فاليك عني ولا تغتر قال يا ابن عم قد علمت نذرى فأتني من قدامي ان كنت من رجالي قال جساس وددت انى اقتلك ولم اركـ مدبراً فكيف مقبلا ثم وضع رمحه فى صلبه فصرعه فوقع كليب يفحص الارض برجله ونادى جساس اغثني بشربة ماء قبل الموت قال هيهات تجاوزت شبيب والاحص يعني منهلين كانا لهم من الماء فذهبت مثلاً واراد عمرو بن الحارث ان يسقي كليباً فكره جساس وجرت التهمة على عمرو بقتل كليب وقيل انه الذى طعنه ثم ظهرت براءته قال ولما طعن جساس كليباً وقف على رأسه يقول :

ابجارنا تبغى كليب سفاهة	فاذهب بها نجلاه من جساس
قدرمت امرأ كنت تضعف دونه	صعب المراق ذاهباً فى الناس
فسقيت كأساً للمنية مرة	فاشرب هديت من الحتوف بكاس
واعلم بانا لا نسلم جارنا	فعل اللئيم به ولا الانكاس

فلنحن اصبر في المواطن واللقا — في كل يوم حفيظة ومراس
نحمي الذمار فلا يرام جنابنا — وتذب عنه ذوائب الأبلاس
احقرت ناقة جارنا وزعمت ان — تبتى بهـ ـنا بحماقة وبكاس
وسنان رمحي كالشهاب ادره — يبدي اغر مهذب قنعاس
اروبته منك الغداة بطعنة — من بعد طول تجهم وعباس

قال ابن اسحاق وانصرف جساس وابن عمه عمرو بن الحارث عن كليب وتركاه مجندلاً واقبل الرعاة فلما نظروا كليبا على تلك الحالة هربوا عنه وكليب يشير اليهم يستقيهم بيده فلم يسقه منهم احد حتى مات وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة :

فابلغ عقالا ان غاية داحس — تسقيك فاستأخر لها وتقدم
كليب لعمري كان اكبر ناصراً — واحزم حزم منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة — كحاشية البرد اليمان المسهم
فقال لجساس اغثني بشربة — تطول بها منا علي وانعم
فقال تجاوزت الأحص وماؤه — وبطن شبيب وهو ذا متوسم
تجير علينا وائل في ذمامنا — كانك عمامنه اشياخنا هم
ومن لايدع ظلم امرئ وهو قادر — على ظلمه يوما من الدهر يظلم

وفيه يقول عمرو ابن الاهتم :

وان كليباً كان يظلم قومه — فادركه بعض الذي ترايان
فلما غشاه الرمح كف بن عمه — تذكر غب الظلم اي اوان

وقال الجساس اغثني بشربة   والا فخبر من لقيت مكان
فقال تجاوزت الاحص وماؤه   وماء شبيب فهي غير دوان

وفيه يقول سحيم ابن اثيل :

لحى الله ســــاع بالمظالم بيننا   يرى كيف يزدي الظالمين و يقمع
سعى لبنى عبس بلطمة داحس   على آل بكر والرماح تزعزع
ورهط كليب ند جزام ببغيهم   غداة كليب اذ ينوء ويصرع
يقول الجساس اغثني بشربة   فلم يسقه والحوض ملان مترع
فقال تجاوزت الاحص وماؤه   وماء شبيب للعلاجيم مكرع

وفيه يقول العبس بن عرداس لرجل سمي كليب :

ا كليب مالك كل يوم ظالما   والظلم انكد وجهه ملعون
قد كان قومك يحسبونك سيداً   واخال انك سيد مغبون
حاول بقومك ما اراد بوائل   يوم الاحص سميك المطعون
واراك توشك ان تكون كمثله   فى صفحتيك نصا لها مسنون
ان القرابة قد علمت مكانها   لو كان ينفع عندك التبيين
واذا رجعت الى نساءك فادهن   ان المسالم راسه مــــدهون

وفيه يقول اعشى وائل :

ونحن ابرنا تغلب ابنة وائل   بقتل كليب اذ بنى وتخيلا
قتلناه بالناب التي شق ضرعها   فاصبح موطى الحمـــاه مذللا
نفيناهم عن ساحة الدار فانتفوا   بتكريت ما يأبون عنها تحولا

مع القرد والخنزير حتى تبدلوا   باسيافهم عوداً حديداً ومنجلا

وفيه يقول يزيد بن عمرو بن خويلد بن الصعق :

والاتدع قيس المحلة بيننـــا   تلاق الذي لاقى كليب من الشغب

يخبر قومى انى لست منهم   ويزعم انا معشر من بني وهب

قال بن اسحق وان جساسا لما انصرف هو وابن عمه يركضان من الحى الى اهلهما وكان مرة بن ذهل ابو جساس في نادى قومه فنظر الى جساس يركض قد بدت ركبتاه وكان فيهما بياض من اثر السرج فقال مرة لمن معه ان لهذا الفارس لشاناً واني لاظنه جساس فان يكن اذا لك فقد جاءكم بالداهية العظيمة التى تذل لها الرقاب قال جلساؤه من اين عرفت ذلك قال اراه قد بدت ركبتاه ولم يفعلها منذ ركب الخيل فلما انتهى اليهم قال ابوه ما وراءك ياجساس قال شر عظيم وانصاب وائل لقد طعنت اليوم طعنة ترقص لها عجائز وائل رقصا قال وماهى لامك الويل قتلت كليبا قال اى والله واي قتل قال اذاً نسلك بجريرتك ونهرق دمك في صلاح عشيرتنا لا ناقتي فيها ولا جملي ولا انا منك ولا انت مني اما والله لبئس ما فعلت بقومك فرقت جمعتنا والحقت حربها وقتلت سيدها ورئيسها فى شارف من الابل والله لا تجتمع وائل بعده ابداً وليستعجلن بها صبياناً قال له قومه لا تفعل هذا ولا تقتله فيخذلوه واياك فامسك مرة وغمس يده مع ابنه فى الحرب واستعد لها وانشأ جساس يقول :

تأهب عنك اهبة ذى كفاح   فان الامر جل عن التلاح

فاني قد جنيت عليك حرباً   يغص الشيخ بالماء القراح

مذكرة متى ما يصح منها   تثب لها باخرى غير صاح

تسعر نارها وهجاً وجاءت   اذا خمدت كنيران القصاح

وما تنفك نائحـــة تعزى   لما ندبت وتعلن بالنواح

تعدت تغلب ظلماً علينا   بلا جرم يعد ولا جناح

سوى كلب عوى في بطن قاع   ليمنع حمية القـــاع المباح

فلما ان رأينا واستبنــــا   عقاب البغي رافعة الجناح

صرفت اليه نحساً يوم سوء   له كأس من الموت القباح

تشكل دانيات البغي قوما   وتدعو آخرين الى الصلاح

ذريني قد طربت وحان مني   طراد الخيـــل عارضة الرماح

ولالي همة ارجو احساهـا   سوى الخطي والفرس الوقاح

فاجابه ابوه مرة بن ذهل :

فان تك يابني جنيت حربا   فلا وكل ولا رث السلاح

ولـكني على العلاة اجرى   الى الموت المحيط مع الصياح

واني حين تشتجر العوالى   اعيـــد الرمح في أثر الجراح

شديد البأس ليس بذي عياء   ولـكني ابؤ الى القــلاح

سألبس ثوبها واذب عنها   باطراف العوالي والصفاح

فما يبقى لعزته ذليـــل   فيمنعه من القـــدر المتاح

وانف الذل من قوم يقولوا   ملحالون للمنية في الطواح

واعجزك من حناه القل موت ... وبعض العار ما يمحوه ماح

وقال مرة ايضا :

البغي فيه المنية هادي ... والله للباغين بالمرصاد

والبغي فيه سوء افعال الفتى ... ومراده في الناس شر مراد

لو كان اقصر وائل عن ظلمنا ... لم يمس مضطجعا بغير وساد

سنسل اسياف المنية بيننا ... فعل العدا للمكر والاحقاد

حتى نصير الى العزيز بعزة ... رمح اللوى ومسارح الاذواد

قال محمد بن اسحق ثم قال مرة لبنيه اظعنوا بنا عن مجاورة القوم حتى ننظر ما يصنعون فظعنوا وكان همام بن مرة اخو جساس ومهلهل بن ربيعة اخو كليب متنادمين متصاحبين ولا يكتم احدهما عن صاحبه شيئاً وكانا متنادمين على اللهو والقيان وكانا قليل ما يغزون وكانت بكر تسمى مهلهل المخدوع فلما ظعن مرة باهله ارسل الى ابنه همام ان يظعن ويلحق باهله وبعث اليه مع الجارية بفرسه فلما انتهت الجارية بالفرس اليهما وهما في جانب الحي معتزلان في خلوتهما فلما رأى همام الجارية والفرس وثب اليها وقال ما دهاك قالت شر طويل قتل جساس كليبا وقد ظعن ابوك واخوتك وامرني بالفرس لتلحق بهم فاخذ همام الفرس فربطه الى خيمته ورجع الى مهلهل فقال له مهلهل ما شأن الجارية والفرس وما بالك متغيراً قال اشرب ودع عنك الباطل قال وما ذاك قال انها زعمت ان جساسا قتل اخاك كليب فضحك مهلهل وقال است اخيك اضيق من ذلك . فاليوم خمر وغدا امر ثم

اقبلا على شرابهما فطفق مهلهل يشرب شرب الامن وهمام يشرب شرب الخائف فلما سكر مهلهل ركب همام ولحق باهله في اليمن وفشى قتل كليب في الحي وقامت عليه النوائح وخرجت العواتق من الحجال وخمشت عليه الوجوه وشقت عليه الجيوب وعقرت عليه الخيول وفزع مهلهل بن ربيعة الى قومه سكران وهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم فقال ويحكم ما الذي دهاكم فلما اخبروه الخبر قال لقد فزعتم الى غير مفزع اتعقرون خيلكم حين احتجتم اليها غاية الحاجة وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم اليه ونهاهم عن ذلك فانتهوا ورجع الى النساء فنهاهن عن البكاء وقال على رسلكن واستعددن للبكاء عيونا فستبكين رب قتيل الى آخر الدهر فظن قومه انه على وجه السكر وكان لا يعرف بالجراءة في الحروب بل كان صاحب لهو ونساء ومعاشقة وكان اصبح اهل زمانه وجها وافصحهم لسانا وكان كليب قد كفاه الحرب والمغازي وكان يسميه زير النساء اي جليسهن وفي ذلك يقول مهلهل :

فلو نشر المقابر عن كليب　　　لخبر بالذنائب اي زير
ويوم الشعثمين لقر عيناً　　　وكيف لقاء من تحت القبور

وبلغ الخبر الحارث بن عباد من بني عكابة بن صعب بن علي بن بكر فقال لا ناقتي فيها ولا جملي واعتزل بقومه بني قيس بن ثعلبة ورجع مهلهل يومه الى شرابه يقول :

دعيني فما في اليوم مصحى لشارب　　　ولا في غد ما اقرب اليوم من غد

دعيني فاني فى سمارير سكرة ... بها جل همي واستبان تجلدى

فان يبزغ[١] الصبح المنير فانى ... سأغدو الهوينا غير وان معردى

اصبح بكراً غارة صليمية[٢] ... ينال لظاها كل شيخ وامرد

قال فلما ناحت النساء على كليب وخمشن التغلبيات الوجوه ونشرن الشعور وشققن الجيوب خرجت الجليلة ابنة مرة امرأة كليب لتسكنهن وتبكى معهن فقلن لها ابعدي عنا فانك شامتة واخوك قتل سيدنا وحرضتيه على قتله فخرجت حتى لحقت باهلها وهي تقول : —

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا ... تعجلى باللوم حتى تسألى

فاذا انت تبينت التي ... عندها اللوم فلومى واعذلى

جل عندى فعل جساس بنا ... غمة للدهر ليست تنجلى

ورماني فقتله سيدنا ... رمية المتيم المستأصل

فعل جساس وما جاء به ... قاطع ظهرى ومدن اجلى

ياقتيلا هدم الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل

هدم البيت الذى استحدثته ... وبدا فى هدم بيتي الاول

ليس من يبكيه يوماً واحدا ... مثل باكي الدهر حتى ينجلى

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم اذا ما تمتلي

انما قاتله مقتوله ... فلعل الله ان يلطف لى

---

(١) يبزغ . يطلع .

(٢) صليمية . الوقعة المستأصلة .

قال فلما اصبح مهلهل مفيقا من سكرته انشأ يقول :

كل قتيل في كليب غرة ... حتى ينال القتل آل مرة

كل قتيل في كليب ابلاس[١] ... حتى ينال القتل آل جساس

كل قتيل في كليب احلام ... حتى ينال القتل آل همام

فلما اصبح غدا الى اخيه فدفنه وقام على قبره يرثيه ويقول :

خذ العهد الاكيد

اهاج قذاء عيني الاذدكار[٢] ... هدوأ فالدموع لها انحدار

تجود بها الشئون اذا اعترتها ... فليس لدرتها ما اعتفار[٣]

وصار الليل مشتملا علينا ... كان الليل ليس له نهار

اذا ماقلت اصبح عاد ليلا ... كليل القرد اسهره الاسار

ارقت ونامت الشعراء عني ... وللباقين بعد بنا اعتبار

وبت اراقب الجوزاء حتى ... تقارب من اوائلها انحدار

وماغربت[٤] بيوت الشعر عنى ... وما انتدوا علي ولا اساروا

(١) ابلاس : مصدر ابلس . اي قل خيره وتحير في امره

(٢) الاذدكار : الذكرى وهي تصور الشيء في الذهن

(٣) الاعتفار : البعد وطول العهد

(٤) غربت : بعدت . وانتدوا : اجتمعوا في النادي واساروا تناجوا واطلع بعضهم على سر ما يقال

كان كواكب الجوزاء ادم[1] دوائم لم تفارقها الديار
مخالفة معاذن على جوار شغفن به اذا اضطرب الجوار
شغفن به فليس لهن عنه نوى ينأني بهن ولا نفار
تزاورت[2] الكواكب عن سهيل وفيها عن مطالعها ازورار
تراها في السماء تحيد عنه كما حادت عن الفحل البكار
ولاح عن المجرة (٣) مرجحن تلوذ به كواكبها الصغار
كما صبت على ظمأ طعان بها جرة أتت عنها البشار (٤)
فمن على ظواهرها قعود سواكن في شوا كلها اضطمار
تلألأت الثريا واستقلت تلألؤ لؤلؤ فيه انتشار
واعرضت السعود فهن صور (٥) الى الغربي أو قصر المدار
وطارت عقرب (٦) بزبانيها وا كليلا يقدمها الغفار

---

(١) الادم : القرابة

(٢) التزاور : زيارة البعض للآخر . والازورار . العدول والانحراف .وسهيل. نجم يجيء طلوعه على بلاد العرب في اواخر القيظ

(٣) المجرة : منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كبقعة بيضاء

(٤) البشار : مبلغ البشرى

(٥) الصور : البوق

(٦) العقرب : برج في السماء . وزبانيا العقرب قرناها . والاكليل التاج وهو شبه عصابة تزين بالجوهر والغفار ميسم يكون على الخد

وطار النسر (١) حتى ماتراه | واخر ساطع مايستطار
وحال الثور (٢) دون بنات نعش | كما حالت عن الثور الصوار
وحل كواكب الدبران (٣) عنها | محل الجار اخرجه الضرار
ولاح من السماك (٤) جبين غزل | اغر لضوء غرته اسفرار
فلو استطيع اذ ركدت ركوداً | منال كواكب لا انبتار
وساق السهر (٥) ظالمته ليجرى | فحيته كما حي السوار
اصرف مقلتي آثار قوم | تباينت البلاد بهم قفار
وابكي والنجوم مطالعات | الى ان تحوها عني البحار
فلو ان البكاء يرد شيئاً | لجئ به الذى رزئت نزار
على من لو بغيت وكان حياً | لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبنى | وكيف تجبنى البلد القفار

---

(١) النسر : كوكب يسمى « النسر الطائر »

(٢) الثور : برج في السماء . وبنات نعش سبعة كواكب تشاهدها جهة القطب الشمالي وبقربها سبعة اخرى تسمى بنات نعش الصغرى . والصوار قطيع البقر

(٣) الدبران : منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب فى برج الثور

(٤) السماك : واحد السماكين وهما كوكبان نيران يقال لاحدهما (السماك الرامح) لان امامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه . ويقال للآخر (السماك الاعزل) لان ليس امامه شئ .

(٥) السهر : القمر والسوار . دوار الشراب فى الرأس

اجبني يا كليب خلاك ذم ... لقد فجعت بفارسها نزار

سقاك الغيث انك كنت غيثاً ... ويسراً حين يلتمس اليسار

ابت عيناى بعدك ان تكفا ... كان قنا القتاد (١) لها شفار

وانك كنت تحلم عن رجال ... وتعفو عنهم ولك اقتدار

وتمنع ان يجيبهم لسان ... مخافة من يجير ولا يجار

وكنت اعد قربى منك ربحاً ... اذا ماعدد الربح التجار

فلا تبعد وكل سوف يلقى ... شعوباً يستدير بها المدار

فعيش المرء عند بنى ابيه ... ويوشك ان يسير بحيث ساروا

ارى طول الحياة وقد تولى ... كما قد يسلب الشيء المعار

كاني اذ نعى الناعي كليباً ... توقد في مناخرى التبار (٢)

فدرت وقد غشى بصرى عليه ... كما دارت بشاربها العقار (٣)

سألت الحي اين قبرتموه ... فقالوا لي بسفح الحي دار

فسرت اليه من بلدي حثيثاً ... وطار النوم وامتنع القرار

---

١) القتاد شجر صلب له شوك كالابر . يقال من دون هذا الامر خرط القتاد اي انه لا ينال الا بمشقة عظيمة وان خرط القتاد اسهل منه . وخرط القتاد وهو نزع قشره او شوكه باليد .

(٢) التبار . الهلاك

(٣) العقار . الخمر

على مثل القطاة (١) بجد موماه من الموماة افزعها المطار
اذا قطعت برا كبها مناراً عات شرفاً وواجهها منار (٢)
فحادت ناقتي من ظل قبر ثوت فيه المكارم والفخار
فبقرها وقد دحت عليه نقا درجت عليه الريح هار
فحادت عن هواه الى هواها بتـــذعار واناها المرار
فكدت اخالط الاعزاء وجداً كان القلب مني مستطار
على اوطان اورع لم يشنه ولم يحدث له في الناس عار
فلولا ان يقال الم برعه قدوم السن والشيب المعار
وان الله لا يخفى عليه علانية الامور ولا السرار
لقص نساك ابيض مشرفي كان سناه حين يسل نار
وقل لمثله مني عقيراً عذافرة (٣) وان طال السفار
ذكرت فخفت اياما طوالا يخالطهن آفاة كبار
اتغدى يا كليب معي اذاما جبان القوم انجاه الفرار
اتغدوا يا كليب معي اذاما فسيل (٤) القوم شط به المزار

(١) القطاة . طائر معروف . والمومات جمع مومات وهي الفلاة التي لاماء فيها
(٢) المنار . العلم يجعل للاهتداء في الطريق
(٣) عذافرة الابل الشديدة . والسفار خيط يشد على خطام البعير ويدار عليه وتجعل بقيته زماما
(٤) الفسيل . الضعيف الذي لا مروءة له ولا جلد

اتقدوا يا كليب معي اذاما حلوق القوم تشحذها الشفار

اقول لتغلب والعز فيها أثيروها لذا لكم انتصار

تتابع اخوتي ومضوا لامر عليه تتابع القوم الخيار .

خذ العهد الا كيد على عمري بتركي كلما حوت الديار

وهجر الغانيات وشرب كاس ولبسي جبة (١) لا تستعار

ولست بخالع درعي وسيفي الى ان يخلع الليل النهار

والا ان تبيد سراة بكر فلا يبقى لها ابداً اثار

وذاك لنا بفعلهم قليل ولا يوفى بمصرعه .اقتصار

فاجابه جساس بن مرة يقول :

الا ابلغ مهلهل ماالدينا فادمعنا كادمعه غزار

بكينا وائل الباغى علينا وكل ليس منه به اصطبار

وكل قد لقى ماقد لقينا وشر العيش مافيه العيار(٢)

ونحن مع المنايا كل يوم ولا ينجى من الموت الفرار

فاقسم ان بقيت لتكرهني اذاطارت من العنس (٣)السفار

وقال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه :

الدار قفر عفاها بعد ساكنها بالريح بعد ارتحال الحي عافيها

---

(١) الجبة . ثوب واسع يلبس فوق الثياب

(٢) العيار . كل ما يعير به الانسان من قول او فعل

(٣) العنس. عنست الجارية اذا طال مكثها في بيت اهلها بعدادراكها ولم تتزوج

وغالها الدهر ان الدهر ذو غيل — فاصبحت بلقعاً قفراً مغانيها

الا رواكد شفعاً بين ملتبد — مثل الحمامة منتوف (١) خوافيها

دار لمهضومة (٢) الكشحين خروعة — كالشمس حين بدا في الضوء باديها

تثني النطاق بدعص (٣) رملة هدف — هار برابية ريا روابيها

سود غدائرها (٤) حم نواحرها — فلا يمل من النجوى مناجيها

بيض ترائبها (٥) درم مرافقها — در بوادرها بيض تراقيها

تفج (٦) حقائبها زج حواجبها — دعج نواظرها سحر مساقيها

فلج (٧) ضواحكها حمر نواكهها — تجرى حواركها بالمسك من فيها

---

(١) منتوف . منزوع ريشه او شعره ونحوهما . والخوافي ريشات من الجناح اذا ضم الطائر جناحيه خفيت . وفي المثل « ليس القوادم كالخوافي »

(٢) مهضومة . وهي هضماء اي خمص بطنها ولطف كشحها والخروعة من النساء التي تتثنى ليناً

(٣) دعص . كثيب رمل مجتمع . والرابية المكان المرتفع من الارض

(٤) غدائر . جمع غديرة وهو الضفور من شعر النساء . والحم القرب والنواحر عرقان في البحر . والنجوى الحديث

(٥) ترائبها . جمع تريبة وهي العظمة من الصدر . والدرم الاستواء والاعتدال. والبوادر اللحمة بين المنكب والعنق

(٦) تفج . يقال امرأة « تفج الحقيبة » اي ضخمة الارداف . وحاجب ازج اي مقرون والادعج من كانت عينه واسعة وشديدة السواد

(٧) فلج . ضواحكها اي منفرجة اسنانها . والحوارك جمع حارك وهو اعلى الكاهل

لو ان نفسي تمنت وهي خالية … لم تعد في الناس عن سلمى امانيها

حتى متى لاتزال الشمس طامعة … ترجو نوال قلوب لا تواتيها

خير الديار وان اقوت معالمها … واسئل لعلك مليك الناس يسقيها

بل هل ترا ضعناً ياصاح غادية … يحدو بها لبطاح الرمل باديها

جاءت بريح الخزا (١) ماطله انق … وخمره ارج كالمسك زاكيها

هاجت له سرقة الغرا او طرقت … في ليلة لم يكن عن يسريهـــا

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها … اذا انت خليتهـــا فيمن يخليها

كليب اى فتى عز ومكرمـة … تحت السفاه [٢] اذا يعلوك سافيها

نعى النعات كليباً لي فقلت لهم … مادت [٣] بنا الارض اومارت رواسيها

ليت السماء على من تحتها وقعت … وحالت الارض فانجابت [٤] بمن فيها

الحلم والجود كانا من طبائعـــه … ما كل آلائه [٥] يا قوم احصيهـا

الناحر الكوم [٦] ما ينفك يطعمها … والواهب المائة الحمرا براعيهـــا

اضحت منازل بالسلان قد درست … تبكى كليباً ولم تفزع اقاصيهـــا

---

(١) الخزامى . نبت زهرة من اطيب الازهار

(٢) السفاه . ما يحمله الهواء من التراب

(٣) مادت . اهتزت ومارت رواسيها . زالت جبالها

(٤) انجابت . انقلبت او غارت

(٥) الآلاء . الايادي والنعم

(٦) الكوم . القطعة من الابل

قد كان يصحبها شعواء مشعلة ... تحت العجاجة معقود نواصيها

من خيل تغلب ما يلقى اعنتها ... الا وقد خضبتها من اعاديها

اذ الكتائب ار بتاف عزائمهم ... وشددوا الناس لم يعرف عوافيها

كليب اى فتى زين ومكرمة ... تقود خيلا الى خيلا تلاقيها

يكون اولها فى حين كرتها ... وانت بالكر يوم الكر حاميها

على عناجيج [1] تردى فى اعنتها ... زهواً اذا الخيل لجت في تعاديها

من كل اجرد ينقى اللبد صهوته ... وكل جرداء كالأوى هاديها

والخيل قد انبتت قوى حوافرها ... واستوجبت بعد انصال دواميها

نروى الرماح بايدينا ونصدرها ... حمراً ونوردها بيضاً عواليها

كأن صب دماء القوم اذ نهلوا ... صب السحاب اذا انهلت عزاليها [2]

قد نترك القرن يوم الروع منجدلا ... تحت الصفوف اذا صكت صواليها [3]

لا تسأل الحرب عن حرب ومن فيها ... والحرب اذ ذاك قد شبت تداليها [4]

وتقلع الخيل عن قتلا مصرعه ... كالخشب مل عليها سيل واديها

حتى تكسر شزراً فى نحورهم ... زرق الاسنة اذ تروى صواديها

امست وقد اوحشت جرداء بلقعة ... للوحش منها مقيل فى نواحيها

---

(١) عناجيج . الخيل الجياد

(١) عزاليها . سحبها

«٣» صواليها . اي اذا تلاقت ابطالها الذين يضربون الناس ويتطاولون عليهم

«٤» تداليها . نيرانها

والربد (١) فيها وغصيان النعام بها ... وللضباء مقيل في مراعيها
يفقرن عن ام هامات الرجال بها ... والحرب يفترس الاقران صاليها
يارب يوم تكون النار في وهج ... فيه جعلت على نفسي مكاويها
مستقدما غصصاً للحرب ملتحما ... ناراً اهيجها حيناً واطفيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم ... حتى يصالح ذيب المعز راعيها

فاجابه جساس ابن مرة يقول :

بلغ مهلهل عن بكر مغلغلة (٢) ... منتك نفسك من غي امانيها
تبكي كليبا وقد شالت نعامته ... حقا وتضمر اشياء ترجيها
فاصبر ابكرفان الحرب قدلقحت ... وعز نفسك ممن لا يواليها
فقد قتلنا كليبا لم نبال به ... بناب (٣) جار ودون القتل يكفيها
نحمي الذمار ونحمي كل ارملة ... حقا وندفع عنها من يعاديها
والجار نؤمنه ان حل ساحتنا ... والعار تمنعه الاشراف واليها

وقال مهلهل يرثي اخاه ايضا :

ذهب الصلح

ان تحت الاحجار حزماً وعزما ... وقتيلا من الاراقم كهلا
قتلته ذهل فلست براض ... او تبيد الحيين قيساً وذهلا

«١» الربد . نبات والغصيان . لحم النعام الطائر المعروف

«٢» مغلغلة . قصيدة

«٣» ناب . واحد من الابل

و يطير الحريق منـــا شراراً فينال الشرار بكراً وعجلا
قد قتلنا به ولا ثار فيـــه او تعم السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً او تحلوا على الحكومة حلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً او اذيق الفواة [1] شيبان شكلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً او تنـــال العداة صغراً وذلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً او تذوقوا السيوف ورداً ونهلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً اورثتني مصيبة القوم خبـــلا
ذهب الصلح او تردوا كليباً او تميلوا عن الحلائل عزلا
او ارى القتل قد تنافى رجالا لم يميلوا عن السفاهة جهلا
ان تحت الاحجار والارض منه لدفينـــا على علاة وجـــلا
عز والله يا كليب على ان ترى هامتي دهاناً وكحلا

زيرُ النساء

قال ابن اسحق فلم يزل مهلهل يبكي اخاه ويندبه ويرثيه بالاشعار ولا يحدث سوى الوعيد فى اشعاره حتى آيس منه قومه وقالوا انه زيرُ النســـاء وسخرت منه بكر وقالوا انما مهلهل نائحة ما عنده خير ولا شربه وهمت آل مرة بالرجوع الى الحي واستحقروه وبلغ ذلك مهلهل فانتبه للحرب وشمر ذراعيه وتوسط فى نادى قومه وآلى على نفسه ان لايقرب النساء ولا يشم

---

[1] الفواة . موت الفجاة

الطيب ولا يشرب الخمر ولا يلهوا ويقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل حتى يقتل بشسع [١] نعله ما دام له قوة بنكايها عدواً فقال له اكابر قومه انا نرى ان لا تعجل بالحرب حتى نعذر الى اخواننا فبالله ما يجدع بحرب قومك الا انفك ولا يقطع الا كفك قال مهلهل قطعها الله كفا وجدعها انفاً لا تتحدث نساء تغلب اني اكلت لكليب سيدي ثمناً ولا اخذت له دية وانشأ يقول :

غدا الخليطان [٢] اذ جد الخليطان … عنا باحداج اجمال واظعان
اذا استبان لهم رأي وقد سكنوا … صمداً كأنهم نخل بنجران [٣]
زموا جمالهم اذ جد ظعنهم … كأن احداجهم كرم ببستان
وفي الحدوج وفي احداجهم غرر … زهر يكنفها للصيف ريحان
فكيف منهن يوماً بالنزول لنا … وليس يفنساه من علم بعرفان
وودعتنا دموع العين ساكبة … كالدر في النظم مفصولا بمرجان
اشهى الينا من الماء القراح على … لحظ يصفقه كف اصبيان
لولا الذي هو عالني ما زلت منتعماً … وصل الغواني ما لاح الجديدان [٤]
لكن قتل كليب قد تعلقني … حرب تشب باوتار واظعان

«١» الشسع . طرف النعل

«٢» الخليطان . الجار والصاحب . والاحداج . الهوادج

«٣» نجران . في مخاليف اليمن من ناحية مكة

«٤» الجديدان . الليل والنهار

من كان مشهده في يوم مجمعة   امر رشيد وامر ليس بالداني

كليب فتلك انساني النساء. وقد   شرب المدامة والندمان انسان

كليب يا فارس الهيجاء اذا لقحت   حرب عوان لها ضرس وناباب

كليب يا فارس الهيجاء اذا برزت   تحت العجاجة اقران لأقران

وقيل من لنزال الخيل وانتلجت   بين النفوس فطاطا كل نيبان

وجالت الخيل من طعن القنا سرباً   يلحظن بالطعن طعن المفرد العاني

قد كنت تفرج غماها بذي خصل (١)   ضافي السبيب شديد الوثب سريان

عار نواهقه (٢) نهد مراكله   كأن فيها شبيهات من الجان

ذي غرة مثل قرن الشمس طالعة   محجل سابق للطير طمهان (٣)

اقب اشهب منجب مفاصله   تخاله حين يعدو شهب نيران

تمت قوائمه والخلق معتدل   والشد منه كشد عند حيان

اغر يبتدر الغارات مبتسم   كأنه من شيب ثوب كتان

ومرهف من سيوف الهند ذي شطب   واسمر من قنا الخطي ظمآن

« ١ » الخصل . الجواد الذي يخاط عليه في الحرب . والسبيب الخصلة من شعر الفرس والسريان السريع في جريه

« ٢ » النواهق . عظمان شاخصان في مجرى الدمع من ذي الحافر . والمراكل تقول « فرس نهد المراكل » اى واسع الجوف عظيم المراكل والمراكل الرجل من الراكب

« ٣ » طمهان . جواد مطهم اي تام الحسن

كليب ما انس من شيء فلست على ... ريب الزمان بناس ما جنى الجان
حتى اعم شيباناً واخوتها ... حرباً وتقضي بني شيبان اخوان
بالقتل مصطلماً الحرب مضطهداً ... تعلو عليهم مناياهم كنيران
ان يقتلوك فأني غير تاركهم ... حتى اصبحهم جهراً بفرسان
من خيل تغلب لا عزل ولا كشف ... من كل ابلج للأقران طعان
ولا محالة من يوم نقاتلهم ... للموت فيه عقاب ذات الوان
حر كواكبه والموت مقترب ... والنقع منتطع والشمس شمسان

شروط الصلح

قال ابن اسحاق فقال قومه لابد ان تغضي طرفك وتطأطيء ظهرك انا ولهم قال فدونكم وانما اراد ان لا يخالفهم فيغضبوا عليه فانطلقوا فى جماعة من اشراف تغلب حتى دخلوا على مرة بن ذهل وجماعة من قومه وولده فقالوا يا اخوتنا قد جنيتم امراً عظيماً وقتلتم شريفنا وشريفكم فى ناب من الأبل وقطعتم الرحم والحرمة ونحن نكره العجلة عليكم دون الأعذار وانا نعرض عليكم احد ثلاثة لكم فيها مخرج ولنا رضا قال مرة وما هي قالوا تدفعون لنا جساساً قاتل كليب فنقتله فانه لم يؤثر قوم قتلوا قاتل صاحبهم او تدفعون لنا اخاه همام فانه ند كليب او تقيد لنا انت من نفسك يا مرة فانت به رضا قال لهم مرة اما جساس فغلام مانق طعن طعنة ثم ركب فرسه هارباً فو الله ما ادري اي البلاد انطوت عليه واما همام فخاله مافقد علتم

وهو ابو عشرة واخو عشرة وخال عشرة فلا تقيدونه بجريرة غيره ولو اقدته كرهوا ومنعوني ولو قلته هو ولده في وجهي هرير الكلاب النوابح واما انا فوالله ما هو الا ان تجول الخيل جولة فاكون اول قتيل لكبري وضعفي ولكني اعرض عليكم غير هذا قالوا وما هو قال اعطيكم الف ناقة سود المقل تضمنها لكم بكر ابنة وايل والا فهؤلاء بني فاقتلوا ايهم شئتم قال التغلبيون والله ما جئنا نشاريكم بكليب ولا نطلبكم ثمنه فاما بنوك هؤلاء فبنوا عمنا ولا نرضى بكليب جميعهم ولا نطلب الا مثله او دونه بقليل ثم انصرفوا منه وقد ايقنوا بالحرب والملحمة واخبروا مهلهل فقال ما كان كليب بجزور نأكل له ثمناً وانشأ يقول :

موتوا كراماً

بني تغلب شدوا المآزر واندبوا ... كليباً وهيوا للعدو المذاكيا
جياد يعلكن الشكيم تخالها ... اذا ما علاهن الليوث سعاليا
عليهن من فتيان تغلب عصبة ... صباح وجوه يخضبون العواليا
مصاليت في الهيجا مطاعين في القنا ... يعاطين شيبان المنايا تعاطيا
اتوقد نار الحرب بكر بن وائل ... كأولها ترقى العيون البواكيا
وان لم تكونوا لم اكن ذا حفيظة ... ارجل رأسي او اعض بنانيا
سأمضي على بكر بمقتل ربها ... كليب من الامر الجليل الدواهيا
ابعد كليب تنظرون هوادة ... وبعد يميني افردت عن شماليا

بني تغلب فابكوا كليباً وانهلو مع المعشر البيض الرماح العواديا

واشجوهم حتى يعودوا بربهم كليب كما قد كان من قبل باقيا

ولا تسأموا ما عشتم واطلبوا دماً وموتوا كراماً تطلبون المعاليا

ولا تفشلوا فى الحرب لما تسعرت واسقوا رفاقا مرهفات صواديا

دماء من الاجواف واسعوا وحاولوا بزاة لكم لا تسلمون الاعاديا

وان كليباً كان مجداً وكنتم تعدون مجداً ان تبكوا البواكيا

عليه فقد افردتم عند ذالكم قرينة حرب والعهود البواقيا

اليوم العبوس

قال ابن اسحق وتعاظمت الامور بين الحيين بكر وتغلب واذن بعضهم بعضاً بالحرب وغضبت قبائل ربيعة لقتل كليباً ورأوا ان بني شيبان قد ظلموهم اذ قتلوهم فى شارف من الابل فظعنت النمر بن قاسط وعقيل بن قاسط حتى انظموا الى تغلب فصاروا يداً على بني شيبان واعتزلت قبائل من بكر لحرب القوم منهم يشكر وعجل وبنو حنيفة وبنو قيس بن ثعلبة ورأسها الحارث بن عباد بن ضبعة فارس النعامة وكان فارس ربيعة وشاعرها فى زمانه وكان من شجاعته اذا دخل فى الصفوف وتمنى قومه عليه فارساً من العدو حمل عليه فاحتضنه حتى يأتيهم به فاعتزل فيمن اطاعه من قومه ونزع سنانه ووتر قوسه فاقام معتزلا حتى قتل ابنه بجير قتله مهلهل فشهر الحرب بعد ابنه فكان هلاك تغلب على يديه وقال : كرهت ان اعينه ظالماً واعنت اليوم وانا مظلوم قال ابن اسحاق فلما اعتزلت هذه القبائل اتهم

شيبان يستنصرونهم فقال لهم يا بني شيبان ظلمتم قومكم وقتلتم سيدكم وهدمتم عزكم وزعتم ملككم ولا نساعدكم ابداً فلم يحارب مع شيبان احد حتى اسرف مهلهل في القتل قال ابن اسحق واغار مهلهل بتغلب الى الذنائب في اول وقعة فالتقته شيبان في جبل جسنة فاقتتلوا شديداً وكثر بينهم القتل وانهزمت بنو شيبان وكثر القتل فيهم وكان يوماً عبوساً عم القوم ضره وكان الظفر فيه لبني تغلب واشتهر مهلهل بالبأس وقاتل واعتنق الفرسان وشاعت شجاعته وقال في ذلك :

يوم الذنائب

من مبلغ بكراً وآل ابيهم	عني مغلغلة الردى الافعس
وقصيدة شعواء باق نورها	تبلى الجبال وأثرها لم يطمس
اكليب ان النار بعدك اخمدت	ونسيت بعدك طيبات المجلس
اكليب ضاع الجار بعدك والحمى	وعلى الكرام من اللئام الأبخس
اكليب من يحمي العشيرة كلها	او من يكر على الخميس الاخمس
فلأنت اجود من خليج منعم	ولأنت اشجع غدوة من بيهس
من للأرامل واليتامى بعده	والسيف والرمح الدقيق الأملس
ولقد شفيت النفس من سرواتهم	بالسيف في يوم الذنيب الأغبس
من حي شيبان وذهل كلها	وتركت قيسهم ولم يتنفس
ان القبائل قد صلوا من جمعنا	يوم الذنائب حر موت احمس
فالانس قد ذلت لنا وتقاصرت	والجن من وقع الحديد الملبس

القتال بالمبارزة

قال ابن اسحق وفى هذا اليوم لبس مهلهل جنته من الدرع والبيضة العادية والجوشن وآل على نفسه ان لا ينزع البيضة من رأسه والدرع من جسده حتى يموت ويلحق بكليب ثم اغار مهلهل فكانت وقعة جانب الايمن طحن بها بني ذهل طحناً وقتل فرسانها مبارزة وكان الظفر لتغلب ثم كثرت بينهم الوقعات والمغازي والقتلات والنهاب والسبي واوقدوا نار الحرب والتقوا يوما غيره ودنا بعضهم من بعض واستوى الجمعان فاجتلدوا بالسيوف مصلتة ثم برز مهلهل يهدر كالفنيق ويدعوا واكليباه فتيل جزور ثم حمل على مرة بن ذهل فضرب هامته فنفذ السيف من البيضة الى دماغه فصرعه قتيلاً وحمل ولده دونه فقتل منهم ثلاثة وصد عنه همام وجساس وشهر بالباس وقال :

واحدة بواحدة

عجبت لقوم يسلكون الى الكبر	وكانوا قديماً ساكنين على الصغر
تعاووا جميعاً كلهم وتجمعوا	وقد حل ما يغشى النصير على النصر
فلا تهلكوا انا سنهلك جدكم	بجرمكم فينا وسائقة الامر
فقد جل امر لستم تدفعونه	فصبراً فخير الصبر صبراً على صبر
وانتم احق الناس بالقتل والفنا	وان تربت ارماحكم يا بني بكر
فان علينا ان نبكي نساءكم	كنسوتنا بعد الفقيد ابن ذي القدر

عار قتل المرأة

قال ابن اسحق وكان رجل من بكر وجد امرأة من تغلب فقتلها فسب بذلك وعقبه من بعده وعيرهم مهلهل بقتل النساء ثم اغارت بنو تغلب ويقدمها ناشرة بن اغواث من بني غنم بن تغلب وهو فارس تغلب وفاتكها وكانت امه مولاة همام بن مرة ولدته في سنة شديدة فمر بها همام حين وضعته فسمعها وهي تقول للقوابل ادنه اي اقتلنه فقلن لها ويحك انه رجل فقالت ولو كان فقال همام ولم تنادين ولدك قالت اني اخاف عليه وعلى الضيعة والعيلة قال لها ويحك اما يكفيك لقحة حلوب وجمل ذلول قالت بلى فامر لها بذلك فكان ناشرة غذياً لهمام حتى بلغ فارساً من الفرسان المذكورين المعدودين في ربيعة ودخل مع قومه تغلب في الحرب فلما كان يوم واردات خرج همام ابن مرة يسقي النـاس اللبن فبصر به ناشرة فقصده فقتله فقالت ام ناشرة في ذلك :

الا ضيع الأيتـام طعنة ناشرة   اناشر لا زالت يمينك واتره

قتلت رئيس الناس بعد رئيسهم   كليب ولم تشكر واني لشاكره

قال وعظم مصـاب همام في ذهل فحمل عباد بن الجهم اليشكري على ناشرة فقتله بين الصفين وكانت يشكر معتز ابن ثم انشأ يقول :

لم انس همام الذي   قد كان ذخري في الذخيرة

اوجزت قاتله السنان   وقـد تواقعة المغـيرة

فثــارت تغلب كلها وانا الفتى احمي العشيرة

فحمل مهلهل على اليشكري فقتله ورمى بجثته واجتلد الحيان الى المساء ثم افترقوا عن سرف القتل وقال مهلهل :

اضحى كليب وحيداً ما يكلمني تحت الضريح عليه تربة القاع
كان المهيب اذا ما الجرداشرطها يوم الالقا هو ان ذات انواع
ومن لجار وضيم كنت ادفعه وجائع بات يعوي بين جواع
ومن لضيف طريد شارد شعث امسى من الخوف لم يكحل بتهجاع
ومن لأرملة حراء معولة بعد العدو دهاها روع مرتاع
ومن لخصم وداع عند معضلة يقول شيخ اذا ما غرد الداع
ومن لحرب اذا ما الحرب اضرمها خلف الرقاب واذ كرها باستطاع

وقال ايضاً يرثيه :

قتلوا كليباً !

لــمــا نعى الناعي كليباً اظلمت شمس النهار فما تريد طلوعاً
قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كلا وانصــاب لنــا عادية معبودة قـد قطعت تقطيعاً
حتى ابيد قبيـلة وقبيـلة وقبيـلة وقبيلتين جميعاً
وتذوق حتفاً آل بكر كلها ويهد منها سمكها المرفوعا
حتى ترا اوصالهم وجماجماً منها عليها الخافقات وقوعا

وترا سباع الطير تنقر اعيناً وتجر اعضاءاً لهم وضلوعا
بالمشرفية لا نعرج عنهم ضرباً يقد جاجاً ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابساً يوم الوغا ما ان يردن رجوعا
اني اذا فرق الكماة من القنا طفت الصفوف بذي الكعوب سبوعا
من ذا لنا من معشر نصبوا لنا لم تلق غير بالثقيل ضليعا

وقال مهلهل يرثي اخاه :

اين الفرار ؟

يا لبكر انشروا لي كليبا يا لبكر اين اين الفرار
يا لبكر اطعنوا معا وطاعنوا ثم حلوا صرح السرباح السرار
سفهتنا شيبان لما التقينا ان عود التغلبي نضار
يا كليب الخيرات لست براض دون روح تراح منه الديار
او اغادر قتلى تقر بعيني ويؤدي ما عنده المستعار
اسالوا جهرة اياداً ولخا والحليفين حين سرنا وساروا
اذ دلفناهم وبكراً جميعا فاسرنا سراتهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن غيلان حتى امعنوا في الفرار حيث الفرار

القتل والاسر

قال بن اسحق ومن مهلهل بهمام وهو قتيل وهو ضئره وحليفه وصفيه

فارتجع له وبكا ثم قال والله ماقتــل فى وائل بعد كليب احد هو اعز منك ولا اعظم فقداً وايم الله لاتجتمع وائل على خير بعدكما ابداً وقتل يومئذ عمرو ابن السدوس الذهلي سـيد ذهل عثر به فرسـه فادركه الماروت بن عمرو التغلبي فطعنه فقتله وقتل مهلهل الثعشمين ابني معاوية سيدا ذهل وفارساها وفيهما يقول مهلهل :

ويوم الثعشمين تقر عيناً   وكيف لقاه من تحت القبور

واسر ثعلبة بن عون بن اخي سعد بن مالك وهو بن اخى ربيعة ابو المرقش الاكبر عمرو بن سعد بن مالك فقتل مهلهل ثعلبة واعتق المرقش فطلب المرقش بدم ثعلبة حتى قتل رجلا من بني تغلب يقال له عمرو بن عون قتله يوم التحالق وفيه يقول المرقش :

ثارت بثعلبـة المالـكى   عمرو بن عون فنعم الرجل

تركت جبينيه دامى الكلوم   ولا ينفع الثائرين المهل

وقتل ذلك اليوم الحارث بن مرة اخو جساس واصاب سهم مهلهل جماعة اسرى وقتلا فخلل منهم بعض مايجده وقال قصيدة يذكر فيها اخاه كليباً ويذكر غدر بني شيبان ويحرض قومه على الحرب وعلى طلب دم كليب وكانت هذه القصيدة تسميها العرب الداهية في الجاهلية وكانوا يتناشدونها عند الحرب اذا ارادوا نكاحا أو ضرب قداح أو محـالفة وكانوا اذا ارادوا انشادها اغتسلوا لها وهي التي يقول فيها :

الداهية

جارت بني بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قدر الطريق

حلت وكان البغى من وائل فى رهط جساس ثقال الوسوق

يا ايها الجاني على قومه ما لم يكن كان له بالخليق

جنـــاية لم يدر ما كنهها جان ولم يصبح لها بالمطيق

كقاذف يوماً باجرانه فى هوة ليس لها من طريق

من شاور النفس فى مهمه ظنك ولـكن من له بالمضيق

ان ركوب البحر ما لم يكن ذا مصدر من مهلكات الغريق

ليس امرؤ لم يعد فى بغيه عدامة تحريق ريح حريق

فمن تعدى بغيـــه قومه صار الى رب اللواء الخفوق

انى رئيس الناس والمرتجى العاقد الشد ورتق الفتوق

من عرفت يوم حزازى له عليا معد عند اخذ الحقوق

اذ اقبلت حمير فى جمعها ومدحج كالعارض المستحيق

وجمع همدان له لجة وراية تهوى هوى الانوق

يلمع لمع الطير عقبانها على اواذى لج بحر عميق

فاحتـل اوزارهم ازره برأي محمود عليهم شفيق

وقد علاهم اللقـــا هبوة ذات جناح كشهاب الحريق

فقلد الامر بنو هاجر منهم رئيساً كالحسام الفتيق

مضطلعاً بالامر يسمو له | في يوم لا ينساغ حلق بريق
ذاك وقد عن له عارض | في جنح ليل في سماء بروق
فذاك لايدني به غيره | وليس يلقى مثله في فريق
قل لبني ذهل يردونه | أو يصبروا لاصيلم الخنفقيق
فقد ترووا من دم محرم | وانتهكوا حرمته من عقوق
واستشعروا من حربنا مأتما | أثابهم نيران حرب عقوق
لايرقأ الدهر لنا عائد | الا على اثلاث نجل ريوق
تنفرج الظلماء عن وجهه | كالليل ولي عن صديع فتيق
ستحمل الراكب منها على | شقصاء جدبور من الشروق
ان امرؤ ضرجتموا ثوبه | بعاتك من دمه كالخلوق
سيد ساداة اذا ضمهم | معظم امر يوم عرك وضيق
لم يك كالسيد في قومه | بل ملكه دين له بالحقوق
ان نحن لم نأثر به فاشحذوا | شفاركم منا لحز الحلوق
ذبحاً كذبح الشاة لايستقى | ذابحها الا بشخب المزوق
اصبح مابين بني وائل | منقطع الحبل بعيد الصديق
غدا تساق فاعلموا بيننا | ارماحنا من قاني كالرحيق
بكل مغوار الضحى بهمة | شمردلي فوق طرف عتيق
سعاليا يحملن من تغلب | فتيان صدق كليوث الطريق
ليس اخوه تارك وتره | وليس عن تطلابكم بالمفيق

فاجابه جساس بن مره يقول :

حادث ذقتم عقابه

انا على ما كان من حادث لم نبده القوم بذات الحقوق
قد جربت تغلب ارماحنا بالطعن اذ جاروا وحز الحلوق
لم ننههم ذلك عن بغيهم عنا ولم يعترفوا بالحقوق
واسعروا للحرب نيرانها للظلم فينا بادياً والفسوق
اليس من اردا كليباً لمن دون كليب منكم بالمطيق
من شرع العدوان فى وائل اقترن الظلم وظنك للضيق
قد كان منكم حادث ذقتم عقابه واعترفوا بالمذوق
بدأتم بالظلم فى قومكم وكنتم مثل العدو الحنيق
والظلم حوض ليس يسقى به ذو منعة فى كل امر مطيق
فان ابيتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروق

فاجابه مهلهل يقول :

شباب الوغى

يا بني ذهل لقد هيجتموا لبني بكر حروباً كالحريق
وبعثتم فارة فى جاركم ذات افنان وريح وحريق
وتقحمتم على عريسة حولها كل اب شبل حنيق
ضيغم اكلف يلقى حوله جيف القتلى كالقاء الوسوق

امرئي ليس كاساد القرى ... بل هزبر حين يلقى في مضيق
وتعرضتم بفرسان الوغى ... فانزلوا منزل تصغير وضيق
اننا نعطي العدا يوم الوغى ... علل الالتماس من شخب العروق
لم تزل تغلب عزاً باذخاً ... وبيوتاً مشرفات للحقوق
حولها كل عتيق صافن ... كالتهاويل وجوال رقيق
ورماح ركزت في مركز ... كفتيل الصبح من لمع البروق
وشباب يتوافون اذا ... ثوب الداعي لدى كل مضيق
عودوا طعن الكلا يوم الوغى ... واحتزاز الهام تلقاه الحلوق
لم يكن فيها كليب، كامرئ ... ليس والسلطان والعهد الوثيق
ملك يقدمه رجراجة ... مثل ذر الشمس قدام الشروق
ثم لا نبقى على ذي لمة ... بعده منكم عدو أو صديق
من لطعن او ضراب صائب ... ينطح الابطال جساس العروق
نسج داؤد سرابيل لنا ... والمذاكي كل منسوب عتيق

وبلغ قول مهلهل من باليمامة من بكر بن وائل فاجابه العيد بن سهل ابن شيبان يقول :

البادئ أظلم

ليس يغني القول الا لامرئ ... صادق بالقول يوماً او مطيق
ان من اورد صعباً نفسه ... هوة ذات ازورار ومضيق

لا حق تغلب فى عدوانه — بادياً فى الظلم فينا والفسوق

ليس ظلم يبتدى المرء به — كانتصار المرء فى الوتر الحنيق

ليس من جرب يوما حربنا — كان للعودة فيها بالحقيق

شجعته النفس عن ذى صدره — اشخصته حدة النفس البروق

قعـد المهر به مغرورنا — ليس غير الرمح والنصل العتيق

ليس يشكو ألم الجرح امرؤ — نال حين سعة من بعد ضيق

ورمى بالوتر منه جانباً — فرمى الاعداء بالطعن المريق

ذاك ما ذاك ولو ذا حفظة — بطل يقطع اقراب الصديق

من رئيس لم يراقب اذ غدا — حرمة الجار ولا حق الرفيق

رفض القوم ولم يرحمهم — ورمانا رميـة المولى العقوق

نحن لما نبتدع ظلماً به — فتصدى وبنى الظلم السحيق

ونصبنا فى حزازى رمحه — وطردنا العصم عن كل انيق

وكفيناه عياناً مدحجاً — بضراب مثل تضرام الحريق

يوم لا تستر انثى وجهها — وقوس القوم تنزوا فى الحلوق

نحن لا امثالكم يوم الوغى — فى حياها ولا يوم المقوق

قد رأيتم اثراً من طعننا — فخذوه او ذروه فى الطريق

ان خذانا اليوم ذهلا لهم — فغداً نحمل عنهم ما نطيق

قبائل بكر تثور

قال ولما قتل مهلهل بني بكر يوم واردات حيت لذلك قبائل بكر بن

وائل واسخطهم قول مهلهل وتولى امر بكر بن وائل الحارث بن همام بن مرة وكان شجاعاً سخياً متكرماً وقال سعد بن مالك بن ضبيعة جد طرفة بن العبد الشاعر وكان من فرسان ربيعة وشعرائها وكان ميلاده فى حرب البسوس يوم الذنائب[1] فقاتل فيها هو وولده فقال محرضا لمن اعتزل من قبائل بكر حيث يقول :

ردوا الجموع

يا بئس حربكم التي	وضعت اراهط[2] فاستراحوا
والحرب لا يبقى لها	جبها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار فى ا	وقعات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء وا	بيض المكلل والرماح
والقطع للاعناق والا	وساط اذ جد المزاح
والكر بعد الكر اذ	كره التقدم والنطاح
كشفت لها عن ساقها	وبدا من الشر القراح
صبراً بنى قيس لها	حتى تنيحوا او تناحوا
فاذا بدت نيرانها	فانا ابن قيس لا براح

(١) الذنائب : قرية دون زبيد من ارض اليمن وبها قبر كليب وائل .

(٢) اراهط : جمع ارهاط وهو عدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امراة . والمعنى : — ان حربكم يا آل بكر وضعت رجالا كمتاع البيت فلازموا منازلهم ولم يخرجوا واستراحوا من الكر والفر .

هيهات حل الموت دون　　　الموت وابيض البياح

ومشى الكماة الى الكماة　　　وقرب الكبش النطاح

وبدت عقاب الموت يخ　　　فق تحتها الاجل المتاح

وغدت بنوا جشم بن بكر　　　اذ بدا منه الصراح

ابن الاراقم حين يد　　　نيها من الموت الصراح

والخيل تعدوا بالكماة　　　ظهورها شيخ ملاح

منا ومنهم حين لا　　　ينجي من الموت المراح

ياليلة طالت على　　　يا ويلتى في الصباح

انا واخوتنا غداً　　　كثمود حجر حين طاحوا

البيض لا هم ينكلون　　　ولا تقر ولا نباح

اولاد ثعلبة الاغر　　　وتغلب النجب الصباح

افبعدهم او بعدنا　　　انى ولا جرت القداح

ابلغ لجيماً اذ نأت　　　لا تترح الحرب المطاح

لو انتم الجمتم　　　ما شق سيلكم الملاح

حتى تضرج حوله　　　او تكسر الاسل الصحاح

ويكون بينهما بنا　　　طعن الاسنة والرماح

كيف الحياة اذا جلت　　　منا الظواهر والبطاح

بئس الخلائق بعدنا　　　اولاد يشكر واللقاح

وللموت اهون موطنا　　من ان يسيحوا حيث ساحوا

ردوا الجموع على الجموع　　كانها اللجج الملاح

قال بن اسحق فلم يزل سعد بن مالك يحرض قومه بالاشعار حتى اجتمعت قبائل بكر على حرب تغلب الا الحارث بن عباد فانه اعتزل بقومه واهل بيته بني ضبعة الا قليلا منهم وتنحى عن حرب تغلب وكره مقاتلتهم حتى قتل ابنه بجير وفى ذلك يقول :

قد تجنبت وائلا ليفيقوا　　فابت تغلب على اعتزالى

واقبل سعد بن مالك يحرضه بالاشعار على حرب تغلب بقوله :

الا قل لم تزدريه الحروب　　تنح وخل لها دارها

فانا نخالك لا تستطيع　　مراس[1] الحروب وامرارها

انا سنكفيك ريب المنون　　لدى الحرب يوما واوطارها

بفتيان حرب صدوق اللقا　　يقومون في الحرب اصغارها

اذا هاجت الحرب هاجوا لها　　بحرب يخيب من زارها

تعادي بهم مخطفات البطون　　يطيلون في الحرب تكرارها

يقودونها من حبالاتهم　　ويصلون يوم الوغا نارها

وقال ايضا يهيج الحارث :

احارث من ذا بعد بكر بن وائل　　يرجي ومن ذا بعد سعد بن مالك

---

(١) المراس : الاختبار . والامرار : الاستمرار اي الثبات والصبر على الحرب

فلا حجبت من بعدنا ذات بهجة ولا حملت انثى لفحل مشارك
وياحاركم من سيد وابن سيد اذا ما التقينــــا يعتلي بالسنابك
وياحاركم [1] من ماجد سوف تلتقي عليه ذيول العاصفات الشوارك
فان تك ذهل قد اتت بعظيمة فانى لهـــا جار ولست بتارك

كيف قتل بجير ؟ !

قال بن اسحاق كان من خبر بجيران ابلا لابيه الحارث زلت [2] من الراعي فخرج بجير في طلبها وكانت ام بجير ام الاغر ابنة ربيعة بن مرة اخت كليب ومهلهل ابني ربيعة فخرج بجير في طلب ابل ابيه فعرض له خاله مهلهل في كتيبة يطلب غرة [3] من بكر بن وائل فصاح باصحابه واخذوا الغلام فأتوه به ولم يكن خاله مهلهل رآه قط وانما ولد بعد خاله كليب بدهر فلما رآه مهلهل اعجبه مما رأى من جماله وهيئته فقال له من انت فقال انا بجير ابن الحارث بن عباد قال فمن امك قال ام الاغر ابنة ربيعة بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب قال فمن خالك قال مهلهل بن ربيعة سيد بني تغلب فاهوى اليه بالرمح ليطعنه قال الغلام لم تقتلني ولا ذنب لي وقد اعتزل ابي حربكم وكف يده فيمن اطاعه من قومه .

---

(١) حار : اي حارث
(٢) زلت : ضاعت
(٣) غرة : غفلة

امرىء القيس

فاقبل امرئ القيس بن ابان بن زهير بن جشم وهو فارس تغلب وشاعرها بعد مهلهل وهو احد حكيمي وائل والحارث بن عباد الاغر وكانا احكم اهل زمانهما واورعهم فقال ويحك يامهلهل اتريد ان تهلك نفسك وقومك وتعين اعدائك بني شيبان بالحارث بن عباد وقد علمت بمكانه في نزار وبطشه في الحروب وطاعة قومه له وهو لم يعرض لنـــا في مساءة وقطع قومه لقتل اخيك فخل بيد الغلام تكن اعز اهل زمانك قال مهلهل يا ابن ابان اذا لم اقتل بن الحارث فمن اقتل والله لا تركته علينا وعليهم الصبر وعلى نسائنا ونساءهم البكاء فهل اول من فجعنا بقتل كليب عنى الجليلة ابنة مرة قال بن ابان فيهنك اجتماع قبايل بكر عليك جميعا وقبح الثنا وقطع الرحم قال مهلهل والله ما اصبحت من ذلك مستوحشا ولا في الحياة بعد كليب راغباً ولا لمودة بكر طالباً و بالله لو تمكنت يدي من بكرى الاذاق للموت ثم تنفس الصعداء وقال :

يا ابن امي

يا لقوم من زفرة الزفرات　　واختلاف الاحزان والعبرات

وامور تساقط النفس فيها　　لـ كليب ادمانهـــا صرات

ماء عيني لك الفدا ولساني　　وفؤادي ومضحكي ولهاتي

وذراعي وراحتي وبناني　　وحسامي وعـــدتي وقناتي

ثم ما بين اخمص الرجل مني　　ثم اعلى ذوابتي وسراتي

الكليب اذا الرياح عليه	تنسف الرمل بالسفا معصفات
ثم يشكوا الى الرعاة ظماء	ضرب الله هام تلك الرعات
ظل يدعوهم لشربة ماء	والرعا قد تعاف عذب الفرات
وابن امي مضرج بالعوالي	حوله الطلس من وحوش الفلات
يوم يدعوهم لشربة ماء	لهف نفسي عليه حتى الممات
باسط الكف باليدين مشير	وهو فيه محشرج النسمات
يا كليب الخيرات ابطأ عني	لو دعاني لكنت خير السقات
يا كليب كنت الربيع اذا ما	قحط القطر معظم الحجرات
يا كليب لقد رميت بسهم	صدع القلب ثم شق صفات
يا كليب كنت المجير اذا ما	لم يجب في الهبات والدعوات
يا كليب اهضت مني جناحي	يا كليب معاود الكربات
تراني شفيت من آل بكر	بعض غل الصدور في الواردات؟
وتركناهم غداة التقينا	كنخيل في البيد معقرات

بشسع نعل كليب

قال له بن ابان لئن قتلته ليقتلن الحارث كبش بني تغلب وسيدها فكان المقتول به امرئ القيس بن ابان في وقعة الحارث بعد بجير وكان على مقدمة تغلب دهراً طويلاً ثم قال مهلهل والله يا ابن ابان وددت اني اقتل جميع بكر بن وائل ثم اقتل بكل رجل منهم ماءة قتلة ثم قام لبجير بن الحارث فضرب عنقه واخذ رأسه فعلقه على ناقته ومضت الناقة حتى اتت اهلها

فلما رآها الحارث بن عباد والراس بها معلق عرف قاتله فقال نفسي الفداء لقتيل الف بين قومه وخرج النساء واجتمع اليه قومه وصاح النساء فاسكتهن الحارث وانتهرهن وقال هو خير مولود فى وائل يصلح امرهـــا و يكف حربها ويحقن دماءها ويكافى خاله عن قومه وكان الحارث سيداً شريفاً فاراد ان يصلح عشيرته بدم ولده حتى بلغه ان مهلهل قال لما قتل بجير قال بشسع نعل كليب فغضب الحارث واخذته حمية الجاهلية و بلغ ذلك قومه فطرقوه ليلا على خيولهم مستبسلين للحرب وقالوا رضيت ان يجعل ولدك بشسع نعل كليب وليس بدون كليب وانت سيد ربيعة وفارس نزار فقال لا تعجلوا على فليس يأتي الحديث من غير اهله وارسل الى مهلهل ان كنت قتلت بجيراً بخاله كليب وطابت نفسك بثارك وقطعت الحرب عن اخوتك فما ارضاني بذلك واطيب نفسي بصلاحكم ولف شملكم ونعم القتيل ارضاك واصلح امر وائل والف بينهما فارسل اليه مهلهل انما ولدك بشسع نعل كليب فاصنع مابدا لك فانتهى الخبر الى الحارث وقد سرحت الجارية ابله فقال ويحك ردى جمالك فمالي اليوم من جل ومن اى اناس انت فذهبت مثلا وقام به الغضب في قومه فهتف الى الحرب وقال في قتل ولده بجير يرثيه :

دم الحرب تلحق البرئ

كل شئ مصيره لزوال غير ربي وصالح الاعمال

وترى الناس ينظرون جميعا ليس فيهم لذاك من احتيال

قل لام الاغر تبك بجيراً حيل بين الرجال والاموال

ولعمري لا بكين بجيراً ما اتى الماء من رؤوس الجبال

حيل من دونه فسحت دموعي بسجال كمثل سح العزال

لهف نفسي على بجير اذا ما جالت الخيل يوم حرب عضال

وتساقى الكماة سما نقيعا وبدى البيض من قباب الحجال

وسعت كل حرة الوجه تدعو يا لبكر عزاه كالتمثال

يا بجير الخيرات لاصلح حتى نملأ البيد من رؤس الجبال

وتقر العيون بعـــد بكاها حين تسقي الدماء صدور العوال

اصبحت وائل تعج من الحر ب عجيج الجمال بالاثقال

لم اكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال

قد تجنبت وائلاً كي يفيقوا فابت تغلب على اعتزالي

فاشابوا إلي كي يقتلوني واطاعوا مقالة الجهال

واشابوا ذوابتي ببجير قتلوه ظلما بغير قتال

فرع بكر وخيرها كان فيها وابن شيخ مبرر مفضال

قتلوه بشسع نعل كليب ان قتل الكريم بالشسع غال

وارتم ابا بجير عليكم كأنني غابة ابى اشبال

فلقد قلت قولة غير فحش ليس قول السفاه والنذال

لا بجير عني قتيلا ولا رهط كليب تزاجروا عن ضلال

تكفتني على المنية امى واتاها نعى , سمى وخال

فلاشفى من تغلب الغدر نفسي ... بيوم تذل برك الجمـــال

يا لقومي فشمروا ثم جدوا ... وخذوا حذركم ليوم القتال

صبروا انفساً على الموت حتى ... يذهب الكر عنكم بالسبال

سفهت تغلب وقالت جهاراً ... خيل بكر ورجلها لا نبال

يا بني تغلب خذو الحذر انا ... قد شربنا بكاس موت زلال

فاشربوا كاسها المديرة صرفاً ... حان منكم تصرم الاجال

يا بني تغلب ستلقون منـــا ... نطحة تسبيح غر الحجال

يا بني تغلب زعمتم بانا ... لا نبيح الديار باستيصال

يا بني تغلب قتلتم قتيـــلا ... ما سمعنـــا بمثله في الخوال

ربما قد شفيت نفسي وقومي ... من بني تغلب وهم امال

لست للحصران شربت شراباً ... او نبيح الديار منكم رجال

وتساقى الكماة منا ومنهم ... بسجال السهام بعد السجال

ولعمري لاقتلن ببجير ... عدد الذر والحصا والرمال

ولعمري لنحن اصبر منكم ... عند تجريد مرهفات الصقال

يا لقومي من حادث قد دهاني ... ولحرب يشيب منها قذالي

اصبحت حربنا وحرب ابينا ... باستعار تشب بالاهوال

بعـــد سلم والفة واجتماع ... وتعاطٍ بالعرف والاموال

فلقد تلحق البرى دم الحر ... ب وتردى بالاصلح المحتال

وتعاطى اهل النهى فترام ... عند جد الامور كالاعزال

ثم تسموا الى الخريدة حتى   لا تواري مواضع الخلخال
لا اروم الهوى زماناً شباباً   او يذوق العداة حر نصال
يا بني تغلب خذوا الحذر اني   قد لبست الغداة ذيل المذال
لا يبدن تغلبـــاً ببجير   او يذوق الحتوف غير حال
قربا مربط النعامة (١) مني   لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني   جد والله جـــد بأس عضال
قربا مربط النعامة مني   اتبقى ليوم قولي احتيـــالي
قربا مربط النعامة مني   ليس قولي يراد لا بل فعالي
قربا مربط النعامة مني   ليس دون الجمال من اشتغال
قربا مربط النعامة مني   فاض دمعي علي بالتهمال
قربا مربط النعامة مني   ليس دون القاء من احتلال
قربا مربط النعامة مني   جد نوح النساء بالأعوال
قربا مربط النعامة مني   شاب رأسي وانكرته العوالي
قربا مربط النعامة مني   ذهب الدهر صاح بالمفضال
قربا مربط النعامة مني   للسرى والغدو والأصـال
قربا مربط النعامة مني   قرباها لتغلب الضلال
قربا مربط النعامة مني   كل شقرا او اشقر ذيال
قربا مربط النعامة مني   كل دهما وادهم صهال

---

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد وهو اول من جز ناصية الفرس في الحرب

قربا مربط النعامة مني قرباها بمرهفات عجال
قربا مربط النعامة مني كل جرداء خفيفة شملال
قربا مربط النعامة مني طال ليلي على الليال الطوال
قربا مربط النعامة مني غضبت وائل فاسوه حال
قربا مربط النعامة مني باح سري وزلزلوا زلزالي
قربا مربط النعامة مني لاعتناق الأبطال بالابطال
قربا مربط النعامة مني او يروح الجروح قبل الرجال
قربا مربط النعامة مني واعدلا عن مقالة الجهال
قربا مربط النعامة مني ليس قلبي عن القتال بسال
قربا مربط النعامه مني صافنات يصففن بالاذيال
قربا مربط النعامة مني كل قرن لقرنه قتال
قربا مربط النعامة مني وسلا عن مطارف الأثقال
قربا مربط النعامة مني وابذلا لي من العطاء سؤالي
قربا مربط النعامة مني كل مهر مصرصر صهال
قربا مربط النعامة مني كل ما هب ذيل ريح الشمال
قربا مربط النعامة مني لبجير مفكك الاغلال
قربا مربط النعامة مني ما دعى المقتل هقلة لارالي
قربا مربط النعامة مني قاربات لموجبات الكلال
قربا مربط النعامة مني بجواد يجود بالأموال

قربا مربط النعامة منى   قرباها مجيحة الاكفال
قربا مربط النعامة منى   ثم قودوا رعالها الرعال
قربا مربط النعامة منى   قرباها لأسمر عسال
قربا مربط النعامة منى   مع عضب معهداً بالصقال
قربا مربط النعامة منى   ان قتل الكريم غير حالي
قربا مربط النعامة مني   لحليم متوج بالجمال
قربا مربط النعامة مني   لكريم ذي نجدة ونوال
قربا مربط النعامة مني   لا يباع الرجال يوم النعال
قربا مربط النعامة مني   للشريف المتوج المفضال
قربا مربط النعامة مني   قرباها وقربا سربالي
قربا مربط النعامة مني   لبجير فداه عمي وخالي
قرباها لحي تغلب شوساً   لاعتناق الكماة يوم الجال
قرباها وقربا لامتي زغفا   دلاصاً ترد حد النبال
قرباها لمرهفات حداد   لقراع الكهول يوم النزال
يترقصن يوم السباب ليوثاً   مصرحين بهلوان العدال
رب جيش لقيته يمطر الموت   على هيكل خفيف الجلال
وهام بفاصل السيف فيه   اذ تساقى الكماة كأس النهال
قاصداً نحو كبشهم لا ابالي   فى طراد لقيته او نزال
ان طراداً لقيتهم فطراد   برعال او الفها بثقال

ان نزالا لقيتهم فنزالا ... مصلة السيف لا بساً سربالي
سائلوا كندة الكرام ببكر ... واسئلوا مدحجاً وحي هلال
اذلونا بعسكر ذي زهاء ... مكفهر الاذى شديد الصيال
فقريناه حين رام قرانا ... كل عاصر الذباب عضب الصقال

قومي هم الحماة

فاجابه مهلهل يقول :

هل عرفت الغداة من اطلال ... رهن ريح وديمة وعزال[1]
يستبين الحليم فيها رسوماً ... دارسات كصنعة العال
قد اراها واهلها اهل صدق ... لا يردون آفد الأرتحال
فسألت الديار هل من انيس ... فتصامت وهيجت اشغالي
ما بها غير اشعث الرأس قرد ... واوار قد قد من احوالي
يا لقومي للوعة البلبال ... ولقتل الكماة والأبطال
ولعين تبادر الدمع منها ... لكليب اذ فاتها بانهمال
ماء عيني لك الفداء ونفسي ... وجبيني وحاجبي وقذالي
ويدي ومنكبي ثم صدري ... ثم ما بعد ذاك غير اعتلالي
لكليب اذ الرياح عليه ... تنسف الترب صاح بالاذيال

***

(١) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والعزال : سحاب لا مطر فيه .

اني زار جوعـاً لبكر فيهم حارث يريد نضالي
وصفوني وقد تبين اني صاحب الحرب مذمر فى القتال
وشفيت النفوس من آل بكر آل شيبان بين عم وخال
كيف صبري وقد قتلتم كليباً وسعيتم بقتله فى الخوالي
فلعمري لاقتلن بكليب كل قيل يسمى من الاقيال
ولعمري لاقتلن بكليب كل ذي صولة بها صوال
ولعمري لقد وطئت بني بكر بما قد جنوه وطئ النعال
لم ادع غير اكلب ونساء واماء حواطب وعيال
وقتلت القروم والصيد منهم وذوي الباس والندى والمعالي
من فعال بدو بكر تراها قد تعفت فكيف حقبى نكال
اذ بغوا واعتدوا وقالوا بجهل تغلب حربها كعذب زلال
فسقوا بالسيوف موتاً عتيداً بكؤس مياهها من صقال
فاشربوا ما وردتم اليوم منها واصدروا خاسرين عن شرحال
ان قومي هم الحماة واني لصليب القوى شديد المحال
زعم الحار اننا قوم سوء كذب الحار كاذب الاقوال
لم تر الناس مثلنا يوم سرنا نسلب الملك بالرماح الطوال
يوم سرنا الى قبائل عوف بجموع زهاؤها [١] كالجبال
فيهم مالك وعمر وعوف وعقيل وصالح بن هلال

(١) الزها : المقدار

ولعمري لاقتلن بكليب كل ذى بجدة عظيم المعال

لم يقم ثم حارث بقتـــالى ا لم الوالدات فى الاثقـــال

اسلم الحرب للجنود ونادى يا لبكر قتلتموا في المجال

صدق الحار اننا قد قتلنا بقبال النعـــال جمع الرجال

لا تمن القتال يا بن عباد صبر النفس انني غير سال

من قتالى لكم مدى الدهر عمرى ثم اوصى خلانى بالقتـــال

فاصبروا للزحوف بعد زحوف ولقتل الشيوخ بيض السبال

ولقتل الخيار بعـــد خيار ولقتل الشباب والاطفـال

لا تلوموا اخاكم ان جهلتم وبدأتم اخاكم بالفعـال

***

يا خليلي قربا اليوم مني كل دهما [1] وادهم صهال

قربا مربط المشهر [2] منى كل شقرا واشقر ذيـــال

قربا مربط المشهر منى فكليب اشاب مني قذالى

قربا مربط المشهر مني لأخي غاية ابي اشبـــال

قربا مربط المشهر مني انني حرها مدى الدهر صالى

قربا مربط المشهر مني واسئلاني ولا تطيلا سؤالى

---

(١) الدهما : مؤنث الادهم وهو الاسود من الخيل

(٢) المشهر : فرس للمهلهل تدعى بهذا الاسم . والشقرا : ما يأخذ لونها من الاحمر والاصفر .

قربا مربط المشهر مني لقحت حربهم فكيف احتيالي

قربا مربط المشهر مني سوف تبدوا لنا ذوات الحجال

قربا مربط المشهر مني قول جد فليس حين هزال

قربا مربط المشهر مني لفتى ماجد كريم الفعـــال

قربا مربط المشهر مني اقضى اليوم منهموا اتبالى (١)

قربا مربط المشهر مني ليت شعرى وذاك انعم حال

قربا مربط المشهر مني من يكون الفداة رهن الموالى

قربا مربط المشهر منى ان قولى مشابه لفعـــالى

قربا مربط المشهر منى لكليب فداه عمى وخالى

قربا مربط المشهر منى ثم فيضـــا بفيضة الاوشال

قربا مربط المشهر مني طار نومي وحان مني قتالى

قربا مربط المشهر منى سوف اسقيهم مرار سجالى (٢)

قربا مربط المشهر منى لاعتناق الكماة والابطال

قربا مربط المشهر منى ما ابالى تصرم الاجال

قربا مربط المشهر منى لغواة اجاسر جهـــال

قربا مربط المشهر منى قد تمنوا امانى الضـــلال

قربا مربط المشهر منى اركدوا الى ركودكم للهلال

---

(١) التبل : الحقد والعداوة والجمع اتبال .

(٢) السجال : جمع السجل اي تارة لهم الحرب و تارة عليهم

قربا مربط المشهر منى   او تذاقوا مرارة الاهوال

قربا مربط المشهر منى   سوف ابغي غرة آل بلال

قربا مربط المشهر مني   ان تلاقت رجالهم ورجالى

قربا مربط المشهر مني   او تجول الكماة كل مجال

قربا مربط المشهر مني   لكليب،وكيف منه اعتلالى!

قربا مربط المشهر مني   ثم نوحا نياحة الاعوال

قربا مربط المشهر مني   طال ليلي واقصرت عذالى

قربا مربط المشهر مني   ذهب الدهر بالعلى والمعال

قربا مربط المشهر منى   قد دنت صولة وحان مصال

قربا مربط المشهر منى   يا لبكر واين منكم وصال

قربا مربط المشهر منى   سوف اشجيهم بسمر العوالى

قربا مربط المشهر منى   قرباه وكل عضب (١) صقال

قربا مربط المشهر منى   لنضال اذا ارادوا نضالي

قربا مربط المشهر منى   قرباه مسلم الا كفـــال

قربا مربط المشهر منى   لقتيل سفته ريح الشمالى

قربا مربط المشهر مني   كل يوم مع الضحى والاصال

قربا مربط المشهر مني   مع رمح مثقف عســـال

---

(١) العضب : السيف القاطع

قربا مربط المشهر مني ... قرباه وقربا سربالي (١)

ثم قولا لكل كهل وناش ... من بني بكر يحذرون في قتالي

وخذوا حذركم وشدوا وحدوا ... واصبروا للنزال عند النزال

لاتلوموا أخاكم اذ جهلتم ... وبطرتم وكنتم في ضلال

قد ملكناكم فكونوا عبيداً ... مالكم عن ملا كنا من مجال

فلقد كنتم وكنا اذا ما ... هاجت الحرب جنة(٢) للعوالي

رب قوم حباهموا قد ابحنا ... واحتوينا اسلابهم والاهالي

يا كليب الخيرات لاصلح حتى ... اسكن اللحد في الضريح المهال

فلقد اصبحت جماجم بكر ... مثل عاد اذ مزقت في الرمال

قتلوا ربهم كليباً سفاهاً ... ثم قالوا سفيهنا غير خال

كذبوا و الحرام و الحل حتى ... ترتع الخيل بين تلك السبال

وتفل السيوف في آل بكر ... فتشيب القذال بعد القتال

يا كليباً أجب لدعوة داع ... موجع القلب دائم البلبال

فلقد كنت غير نكس(٣) لدى البا ... س ولا واهن ولا منشال

يوم ارديت نحو آل عبيد ... كل ليث عمثهل منهال

---

(١) السربال : القميص او كل ما يلبس جمع سراديل . ويراد به هنا الدرع

(٢) الجنة : كل ماوقى من السلاح .

(٣) النكس : الرجل المقصر عن غاية النجدة والكرم . والواهن : الضعيف . والمنشال : حديدة في رأسها عقافة ينشل بها اللحم من القدر ونحو ذلك .

يذهل الشيخ عن بنيه ويبدو　　عند تلك الكسول كالتمثال
ويرى السيد المعمم عزاً　　مستذلا ومابه من خبال
يوم لاتسمع الكماة من الزجر وحد الخيـــول والتصهال
يوم ولوا عنا عباديد شتى　　واستعدوا واجمعوا بارتحال
فحوينا النساء والولد منهم　　في غبار الهجاج والقسطال [1]
وشددنا عليهم بخميس　　ذى زهاء وفيلق مستهـال
وتركنا النساء يبكين دهراً　　موجعات ينحن بالاثكال
وذبحنا الأطفال من آل بكر　　وقهرنا كلهم بالنصال
وكررنا عليهم وثنينا　　بسيوف تقد في الأوصال
واستدرنا ودارت الحرب فينا　　وشببنا نيرانها باشـــتعال
سلموا كل ذات بعل واخرى　　لم تزوج غراء مثل الهلال
يال بكـر فاوعدوا ما اردتم　　واستطعتم فمالنا من زوال

الأخذ بالثار

قال ابن اسحاق ثم دعى الحارث ابن عباد بفرسه النعامة وكانت أكرم خيل الجاهلية فاتى بها فجز ناصيتها وقطع ذنبها وكان أول من صنع ذلك من العرب فاتخذته العرب سنة اذا قتل لأحد قتيلا عزيزاً واراد أن يأخذ بثاره فلما بلغ ذلك مهلهل دعى بفرسه المشهر ففعل به كذلك

(١) القسطال : الغبار الساطع في الحرب .

وارتحل الحارث ببنيه و بني أخيه و قومه . فضمهم الى قبائل بكر وجماعتهم فكان أول الفنا لبني تغلب وفرحت بكر بالحارث وقومه و قربوه وقرابهم الحارث ابن همام وكانت بكر قد قلدته رياستهم بعد أبيه و شهر بالفراسة والكرم والشعر ولما اجتمعت بكر أغارت بكتائب جمة وخرج مهلهل ابن ربيعة بقومه تغلب فالتقى الفريقان بعويرض (١) فاقتتلوا قتالا شديداً لم يره أحد قبل ذلك اليوم و صافح الحارث ابن عباد القتال بنفسه و نكا في بني تغلب أشد النكاية وقتل فيهم قتلا كثيراً وانهزمت فئة تغلب وكان يوماً عظيم الشر وهو أول يوم هزمت بكر فيه تغلب وقصد الحارث مهلهلا فصد عنه الى غيره فقتل كل منهما جماعة من عدوه وقال الحارث ابن عباد فى ذلك اليوم :

ماذا فى العويرض ؟!

كاننا غدوة وبنى ابينا	غداة الخيل تفزع بالذكور
ضراغم ساورت فى الحى يحمى	عليها كل ذى لبد هصور (٢)
تجالد فى كتائب من على	بفتيان كامثال الصقور
بجنب عويرض لما التقينا	ونار الحرب ساطعة السعير
فدانت تغلب فى الحرب لما	نزلن بداهيات فى الامور

---

(١) العويرض : جبل ببلاد طيء يقال ان عليه قبر حاتم طيء الجواد المشهور

( ) ذى اللبد الهصور : كناية من الاسد

وكانوا فى اللقاء غداة ثاروا — مناصرة بها اقحح الدبور (١)

فخام مهلهل لما التقينا — وعرد حين مل من الهرير

فلو نشر المقابر عن كليب — لخبر فى الحفاظ بشرزير (٢)

ولو قتلوا جميعاً فى بجير — لكانوا فيه كالشيء اليسير

بجير حين تشتجر العوالى — غداة حوادث الخطب الكبير

قتلنا الحى من جشم ابن بكر — واهلك ملكهم عند النفير

بناس من بني بكر عليهم — دلاص(٣) السابغات من الحرير

واهلكنا بني غنم جميعاً — مع القمقام (٤) ذي الشرف الكبير

وجالوا من سعير الحرب حق — بدت اقدام ربات الخدور

تقد مقيل هامهموا ببيض — قواطع طالبات للوتور

غداة ضجتهم شعواء تردي — باسد ما تمل من الزئير

كماة الطعن من رؤساء عز — اليهم منتهى العابي الضرير

ومن ذهل ابن شيبان وقيس — ليوث الحرب فى اليوم العسير

ومن ابناء تيم اللات عز — توارثه الصغير عن الكبير

وان تعدد بني بكر تجدهم — ذوى القامات والعدد الكثير

---

(١) الدبور : الريح الغربية

(٢) الزير : يراد به جليس النساء

(٣) الدلاص : اللين البراق يقال « درع دلاص » اي ملساء لينة

(٤) القمقام : السيد الكثير العطاء

حنيفة آل مكرمة وفخر ... بهم يصلى بعنصبة القدور
واحصر فى الحمية من لجيم ... حماة الغز فى اليوم الضرير
وعمرو فى الوغا الياث حرب ... كان رماحهم اشطان (١) بير
ومن عجل كتائب بالمزاكي ... ترى فى كل يوم قمطرير (٢)
ومن اولاد يشكر كل سام ... طويل الباع كالقمر المنير
فما فى الناس حي مثل بكر ... اذا افتخر المفاخر للفخور

الليل القصير :

فاجابه مهلهل بن ربيعة يقول :

اليلتنا بذي حسم (٣) انيرى ... اذا انت انقضيت فلا تجورى
فان يك بالكتائب طال ليلي ... فقد يبكى على الليل القصير
نجوم الليل قد شيبت راسي ... فهذا الصبح راغمة فغوري (٤)
كأن كواكب الجوزاء ركب ... معطفة على ربع كبير
كأن بنات نعش معرضاة ... قطـــار عارض للشام مور
تتابع مشية الابل المهاري ... ويلحق كل باكية غيور

(١) الاشطان جمع شطن وهو حبل البئر .

(٢) القمطريرة الشديد من الايام

(٣) ذي حسم : اسم موضع .

(٤) غورى : غيبي

وتحنو الشعريان(١) على سهيل ... فتعجب الغميصا والعبور
كأن بنات نعش تاليات ... وفرقدهن (٢) مختلق الاسير
كان الفرقدين بكسف ساع ... الح على انامله مدير
كان الجدى(٣) جدى بنات نعش ... وانجمها مساعر ذى تقير
كان النجم فى همسات يوم ... اسير او بمنزلة الاسير
كان بجرة (٤) للنسرين نهج ... تقادم جريها فى نجد وغور
كان النجم فصلان صغار ... او ارك في دجى ليل مطير
تعرض واستقل لها سهيل ... يلوح كهيئة الجمل الغدور
كان الدهر يجمع فى ليال ... ثلاث قد خلون من الشهور

***

ارقت وصاحبي بجنوب شعب ... لبرق فى تهامة مستطير
ولو نشرو المقابر عن كليب ... لخبر بالذنائب اى زير

---

(١) الشعريان : تثنية الشعرى وهو كوكب يطلع فى الجوزاء في شدة الحر وسهيل نجم يمني يطلع على بلاد العرب فى اواخر القيظ .

(٢) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدي به وبجانبه آخر اخفى منه فهما فرقدان .

(٣) الجدي : نجم الى جنب القطب تعرف به القبلة ويقال له جدي الفرقد .

(٤) المجرة : تقدم معناها . والنسران : كوكبان يقال لاحدهما « النسر الطائر » ويقال للآخر « النسر الواقع »

ويوم الشعثمين اقر عينا ... وكيف لقاه من تحت القبور

الا اني تركت بواردات(١) ... بجيراً في دم مثل العبير

وهمام ابن مرة قد تركنا ... عليه القشعمات لمن النسوري

ينوء بصدره والرمح فيه ... ويعلوه خدب كالبعير

هتكت بيوت بني عباد ... وبعض القتل اشفى للصدور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خاف المغار من المغير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما طار معصور العصير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا طرد اليتيم عن الجزور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما ضيم جار المستجير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ضاقت رحيبات الصدور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خاف المخوف من الثغور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا طالت مقاسات الامور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا هبت رياح الزمهرير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا وثب المثار على المثير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا عجز الغني عن الفقير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما قسمت عير بعير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خرجت مخباة الخدور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما كان في خلق الفقير

---

(١) واردات : اسم للموضع الذي قتل فيه مهلهل بجير بن الحارث بن عباد

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا نارت منصبة القدور
على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما الحرب ساطعة السعير
على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما كان تطلاب الوفور
على ان ليس عدلا من كليب ... اذا هتف المثوب بالعشير

***

فتيل ما قتيل المرء عمرو ... وجساس بن مرة ذي صرير
تسايلني اميمة عن ابيهـا ... وما تدري اميمة ما ضميري
فلا وابي اميمة ما ابيهـا ... من النعم المؤثل والسرور
ولكنا طعنا اليوم طعناً ... على الاشباج منهم والنحور
نكب القوم للاذقان صرعى ... ونأخذ بالترائس والنحور
فبى لبنى شقيق حين جاؤا ... كاسد الغاب تلجب بالزئير
غداة كاننا وبنى ابينا ... بجنب عنيزة ركنا ثبير[1]
فلولا الريح اسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور
وكانوا قومنا فبغوا علينا ... فقد لاقاهم لفح السعير
تظل الطير عاكفة عليهم ... كان الخيل تنضح بالعبير
وما تنكى عدوك اذ تعادى ... بمثل الصبر فى ضنك الوعور

---

(١) ثبير : جبل معروف

حلي في بلادك

فاجابه الحارث بن عباد :

علت اطلال مية من جفير [١] الى الاجياد منه فجو بير
وقد كانت تحل بهـــا زماناً امامة غير مكشفة الستور
تسامر كل خرعبة لعوب من اللاتي عرين على النحور
اذا ما قمن تحسبهن خوطاً من القضبان ذا ورق نضير
فسايل ان عرضت بني زهير ورهط بني امامة والغوير [٢]
غداة تجمعت من كل اوب بنو جشم ولم تحفل مسير
يعنيها الضلال اخو كليب فقد صارت على كذب وزور
تركنا تغلباً كذهاب امس واخرجنا الحسان من الخدور
فلو نشر المقابر عن كليب لابصر بالذنائب شر زير
تركنا منهم بشراً كثيرا لغربان الفـــلاة وللنسور
نصحت لتغلب وكففت عنها ولم اهتك لهـــا حرم الستور
فاعيت تغلب وبغت علينا ولم تحذر معـــاقبة الامور
صبحناهم بكل اصم لدن وكل مجرب بطل جسور
عواسل في الاكف مثقفات خضبناهن من ثغر النحور
فلم نقتل شرارهم ولـكن قتلنا كل ذي كرم كثير

---

(١) جفير : والاجياد وجو بير اسماء مواضع معلومة

(٢) الغوير : اسم موضع ايضا

شهرت السيف اذ اقتلو بجيراً ... فاهلكت الصغير مع الكبير
فلو قتلت تغلب فى بجير ... لكانوا فيه كالشيء الحقير
على ان ليس عدلا من بجير ... اذا اختلط القبيل مع الدبير
فقد فرقت تغلب يا لبكر ... فحلى فى بلادك او فسيري

لا ترغب مهلهل

وقال جساس ابن مرة مجيبا لمهلهل ابن ربيعة :

فان تك قد قتلت به بجيراً ... فكفو من أخيك لدى الأمور
وعاد أخي وولده فاني ... ساءتيكم بقاصمة الظهور
بجمع يهلك الفتيان فيه ... وضرب مثل وقعات م الصخور
ولو لا ما أصبنا من كليب ... فطابت عنده غلل الصدور
فلا تعجل مهلهل ان سلمنا ... فما ليلي وليلك بالقصير
ولو كنا نساق كل يوم ... بغارات وحرب مستطير
ونشفى انفساً منكم عيانا ... بشــكل فى غريرات الخدور
فلا ترغب مهلهل فى قتالي ... فاني لست بالضرع الغرير
ولكني لدى الغارات احمى ... حمى قومي بمصقول منير
وفتيان تكر على الاعادي ... على الجرد المطهمة الذكور
وتنتظم المعاهد بالموالي ... وتنتصف الجفان من القدور
وما سبقت لهم ابداً كعاب ... ولا طرد اليتيم عن الجزور

وقودها جثث وهام

وقال مهلهل ابن ربيعة ايضاً :

اثبت مرة والسيوف شواهر ... وصرفت مقدمها الى همام
فبنوا لجيم قد وطأنا وطئة ... بالخيل خارجة عن الاوهام
ورجعنا نجتني القنا فى ضمرة ... مثل القداح سريعة الأقدام
وسقيت تيم اللات كأساً مرة ... كالنار شب وقودها بضرام
وبيوت قيس قد وطأنا وطئة ... فتركن قيساً غير ذات مقام
ولقد قتلت الشعثمين ومالكا ... وابن المسور وابن ذات دوام
ولقد خبطت بيوت يشكر خبطة ... اخوالنا وهم بنو الاعمام
ليست براجعة لهم ايامهم ... حتى تزول شوامخ الاعلام
قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا ... كذبوا ورب الحل والاحرام
حتى تلف كتيبة بكتيبة ... ويحل اصرام على اصرام
وتقوم ربات الخدور حواسراً ... يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى ترى غرراً تجر وصمة ... وعظام روس هشمت بعظام
حتى يعض الشيخ من حسراته ... مما يرى جزعاً على الابهام
ولقد تركنا الخيل فى عرصاتها ... كالطير فوق معالم الاجرام
فقضيت دينا كنت قد ضمنته ... بعزائم غلب الرقاب سوام
من خيل تغلب عزة وتكرما ... مثل الليوث بساحة الآثام

بلا احلام !

فاجابه الحارث ابن عباد يقول :

حي المنازل اقفرت بسهام … وعفت معالمها بجنب برام
جرت عليها الرامسات ذيولها … وسحال كل مجلجل سجام
اقفرت وقد كانت تحل بجوها … حور للدامع من ظباء الشام
وبمعصم عبل وعيني جؤذر … ومفلج حسن وحسن قوام
وروادن مثل النقا مجدولة … وبفاحم جثل النبات سخام
تركتك يوم تعرضت لك باللوى … دنفا تعالج لوعة الاسقام
ان الاراقم أصبحت مسؤلة … بقرارة لمواطيء الاقدام
تركت ظباة سيوفنا ساداتهم … ما بين منجدل وآخر دام
لا تحسبن اذا هممت بحربنا … انا لدى الهيجاء غير كرام
ولقد علمت وانت فينا شاهد … وسيوفنا تفري فروغ الهام
انا لنمنع بالطعان ديارنا … والضرب تحسبه شهاب ضرام
فوق الجياد شواخصاً ابصارها … تعدو بكل مهند صمصام
ولقد نكأتك نكأة مشهورة … تركتك منخسفاً لدى الاقوام
ولقد اسرتك ثم عدت بنعمة … لو كنت تشكر لي بها انعامي
ضمنت لنا ارماحنا وسيوفنا … بهلاك تغلب آخر الايام
فلأتركن لتغلب ابنة وائل … بعد الكرى شغلا بغير منام

افصدتكم لما قصدت اليكم | فالفخر بطبعة رمحه القصام
واذا الكرام تذاكرت ايامها | كنتم على الايام غير كرام
فاسئل بكندة حين أقبل جمعها | حول ابن كبشة وابن ام قطام
ملكان قد قادا الجيوش وأثخنا | بالقتل كل متوج قمقام
رجعا وقد نسيا الذي قصدا له | والخيل تقرع مثل سيل عرام
وجرى النعام على الفلاة جوافلا | تسق الرجال بوارد الاعظام
ووجدت ثم حلومنا عادية | وكان اعدانا بلا احلام
افبعد مقتلكم بجير عنوة | ترجون وداً آخر الايام
كلا ورب الراقصات الى منى | كلا ورب الحل والاحرام [1]
حتى تقيدون النفوس بقتله | ونروم في الشحناء كل مرام
وتجول مضناة الخدور حواسراً | يبكين كل مغاور ضرغام

لاطلبن بوترى

وقال مهلهل بن ربيعة أيضا :

يا بنت زهير اذكري حسبي | وابكي زهيراً فما خانوا ولا عندوا
اني وجدت زهيرا في مآثرها | مثل الاسود اذا ما استأسد الاسد
تجري عليهم كميت اللون صافية | اسفنطة قد علاها الرأس والجسد [2]

---

(١) الراقصات . الجمال لانها ترتفع وتنخاص في سيرها .

(٢) الاسفنطة . المطيبة من عصير العنب خاصة .

الضاربون من الاقوام هامهم ... والمانعون لما شاؤا اذا اعتمدوا
انا بنوا تغلب شم معاطسنا ... بيض الوجوه اذا ما افزع البلد
فلو شهدت بني بكر وجمعهم ... وجمعنا اذ تلاقى القوم فاجتلدوا
وصبحوهم بها صهباء صافية ... تصبي الحليم وتنسى القوم ماولدوا
ما كان في الناس من حي يفاخرهم ... الا وخروا على الاذقان اذ سجدوا
ما كان جمعهم في عرض سورتنا ... اذ اقبل الجمع نحو الجمع واحتشدوا
الا كمثل ذباب طار معترضا ... في لهوة الليث فاستولى به الاسد
فقد قتلت بني بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكى لهم احد
حتى رفعت وما بادوا مصقلة ... مثل المخاريق[1] في ا كتابهم تقد
مازلت اقتلهم قتلا وأسرهم ... حتى اشتكت لهم الاحشاء والكبد
اقسمت بالله لا ارضى بقتلهم ... حتى تبهرج[2] بكر حيث ماوجدوا
كم قد قتلت بنى بكر بسيدنا ... وليس يوفي كليباً منهم احد
كم من فتاة كقرن الشمس ناعمة ... تبكي سراة بني شيبان اذ فقدوا
تبكي مصاليت خلينا ديارهم ... بالصافحات ونهم اللاة قد همدوا
رأسان كانا جميعا فض جمعهما ... رأسان من تغلب الغلباء اذ شهدوا
قد قرت العين من عجل بما قهروا ... ومن سراة بني شيبان اذ حصدوا
ومن جميع بني قيس وقد شتيت ... ذهل بنا يوم لاقونا وما سعدوا

---

(١) المخاريق . مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة .

(٢) التبهرج . اى حتى يكون دمها مباحا لمن اراد .

ومن بني مالك والحارثين وما — اغنوا بجمعهم فى الحرب اذ قصدوا
واليشكريون اذ جاؤا بجمعهم — حتى لقونا فما قاموا ولا قعدوا
هانت لخيم غداة الروع فاطردوا — مثل المعافر (١) فى الصحراء يطرد
ابلغ حنيفة لا تمدد ديارهم — لم ينجهم عدة منا ولا عدد
فان دابرهم عن لغابرنا — وان احلامنا عادية تلد
كانوا الاحبة والاخوان فاقتبسوا — ناراً تأجج شبتها لنا النكد
صبحت ذهلا جميعاً وسط دارهم — حتى رأيت ذوى احسابهم خمدوا
لو كنت اقتل بين الخافقين كما — قتلت بكرا لامسى الجن قد نقدوا
مازلت اوقد نار الحرب اضرمها — حتى انطفت بدماء القوم لاتقد
فتلتموه فذوقوا غب امركم — ان الاراقم حياة اذا حقدوا
قوم اذا عاهدوا اوفوا وان عقدوا — شدوا وان شهدوا داعى الوغا اجتهدوا
وان دعوتهم يوما لمكرمة — جاؤا سراعا وان قام الخنا قعدوا
لا يرقدون على وتر لهم — وان يكن عندهم العد ارقدوا
اذا ارادوا استقادوا من عدولهم — قسراً ولا يتأتى منهم القود
المانعون من الاعداء جارهم — والضاربون الذى فى رأسه صيد
احللت فيهم وقد علت وقد نهلت — بنو على وخيل القوم تطرد
فيحذرنها رجال كنت ارحمهم — لاطلبن بوترى كل من اجد
نوثر كليبـــا ثائراً ابداً — لاينفد الثار حتى ينفد الابد

(١) المعافر . الذى يمشي مع الرفق لينال من فضلهم .

نحن الفوارس

فاجابه الحارث بن عباد :

بانت سعاد وما اوفتك ماتعد   فانت فى أثرها حران معتمد
احلا من الشهد موعود وليس لها   مما تعاطيك الا البخل والبعد
قامت تريك أثيث(١) النبت منسدلا   بماء عينين لم يأخذهما الرمد
قد زين الله فى قلبي مودتها   تكاد تنفث من وجد بها الكبد
وجدى وجد مقلاة(٢) بواحدها   وليس يلقى محب مثل ما اجد
ترى البنان به التطريف(٣) مختضبا   يكاد من رقه واللين ينعقد
خصانة الكشح مرتج روادفها   مثل القناة فلا قصر ولا اود
كان مشيتها والثقل يغلبها   غصن اذا حركته الريح يطرد
ياخير حب اذا ماغاب صاحبه   ازرى به عنده الواشون والحسد
فكل ذلك منها انت منقبض   حتى متى يعتريك الشوق والكمد
سل حي تغلب عن بكر ووقعتهم   بالحنو(٤) اذ خسروا جهرا ومارشدوا
اذ نحن حيان حل الناس بينهما   وقد جهدنا لهم بالجمع واجتهدوا
وحث للرسل منا فى مجالسهم   ومنهم فى جميع الحي فارتعدوا

---

(١) الاثيث . الشعر الكثير الملتف .

(٢) المقلاة . المقلة وهى ضد الكثرة .

(٣) التطريف . تخضيب اطراف الاصابع بالحناء .

(٤) الحنو . اسم موضع .

فاقبلوا بجناحيهم يلفهما … منا جناحان عند الصبح فاطردوا

فاصبحوا ثم صفوا دون بيضهم … وابرقوا ساعة من بعدما رعدوا

وايقنوا ان شيباناً واخوتهم … قيسا وذهلا وتيم اللات قد رصدوا

ويشكر وبنو عجل واخوتهم … بنو حنيفة لا يحصى لهم عدد

اليهم وبايديهم مهندة … مثل المخاريق تفري كل مايجد

ثم التقينا ونار الحرب ساطعة … وسمهري العوالي بيننا قصدوا

نسقى وتسقى حمام الموت وارده … حوض المنايا ومن اعراضه ترد

ثم التقينا حلا الحيين محتصر … جوالسيوف ونصلاها اذا ركدوا

طورا ندير رحانا ثم نطحنهم … طحناً وطورا نلاقيهم فنجتلد

اذا اقول تخلوا عن هزيمتهم … كروا علينا حماة كلهم حرد(١)

حتى اذا الشمس دارت امعنوا هربا … عنا وخلوا عن الاموال وانجردوا

لا يلبثون عن الاولاد ينشدهم … ولا النساء ولا يألون مايعدوا

قد قرت العين من عمران اذ قتلت … ومن عدي مع القمقام اذ جهدوا

ومن زهير ومن غنم واخوتها … ومن حبيب اصاب القتل فانفردوا

ومن بني الاوس اذ شلت قبيلتهم … لا ينفعون ولا ضروا ولا حمدوا

ضحوا الى النمر منا ثم عمهم … فما وفى النمر اذ طاروا وهم مدد

وصادفوا جمعنا تفري جماجمهم … بالمشرفية حتى كلهم شردوا

صاروا ثلاثة اثلاث فثلثهم … ثلث تنازعه الاغلال والقدد

(١) الحرد : من اعتزل من قومه وانفرد

وثاشهم جزر صرعى تنوشهم ... عرج الضباع وزرق الطير والفهد [1]

وقد رفعنا عن الباقين رحمهم ... عفوا غفرنا وفضلا اذ هم جهدوا

انا لنمنع مرعانا وساحتنا ... منا فلسنا لدى الهيجاء نضطهد

الطاعنون اذا ما الخيل شمصها [2] ... وقع القنا وهي من وقع القنا حرد

الضاربون اذا ما حومة كلبت ... فنحن فيها اذا جد الوغى اسد

نحن الفوارس نغشى الناس كلهم ... ونقتل الناس حتى يوحش البلد

لقد صبحناهم بالبيض صافية ... عند اللقاء وحر الموت يتقد

وقد فقـــدنا اناساً من اماثلنا ... ومثلهم فكذاك القوم قد فقدوا

وقد جزعتم ولم نجزع غداة اذن ... منا النفوس ولم تخضع لما نجـد

فاسئل بجيشك لما قل جمعهم ... واسئل بهم عندوقع الحرب اذ خمدوا

وقـد قتلناكم فى كل معترك ... حتى اويت ولا يأوى لـكم احد

حتى الرماح ظماء بعد ما نهلت ... والحرب منا ومنكم وجهها صلد

والخيل تعلم اني من فوارسها ... يوم الطعان وقلب النكس يرتعد

وقـد حلفت يميناً لا اصالحكم ... ما دام منا ومنكم فى الملا احـد

حتى نبيدكم بالسيف ثانيـــة ... ونشبع الطير والذيبان [3] اذ تقد

ونترك الارض بالتامور [4] ناجعة ... منكم سيولا فلا يذهب لها قود

---

(١) الفهد : نوع من السباع بين الكلب والنمر قوائمه اطول من قوائم النمر وهو منقط بنقط سود لايتكون منها حلق كالنمر .

(٢) الشمص : الذعر . وشمصها بالسوط ضربها حتى امرحت والشموص من الخيل كالشموس .   (٣) الذيبان : تثنية ذئب   (٤) التامور : الانسان

قل المناسك[1] في القوم الاولى قتلوا   والقول قولك فينا الزور والفند

قال ثم التقى القوم بعويرض تارة اخرى فاقتتلوا قتالا شديداً حتى هجم الليل وجالت بنو تغلب جولة على بكر فهزموهم في العشاء بعد كثرة القتل وصافح مهلهل بنفسه وابلى وقتل جمهوراً من الفرسان وراح ضافراً منصوراً والدائرة له ولقومه على بني بكر فقال في ذلك مهلهل .

في الصدر غليل

بات ليلي بالانعمين[2] طويلا   ارقب النجم ساهراً كي يزولا

كيف نومي ولا يزال قتيلا   ماجداً كان للصديق وصولا

فاضل سيد حليم كريم   كان بالمال للوفود بذولا

اوجع القلب حيث يبكي الطلولا   ان في الصدر من كليب غليلا

كيف انساك ياكليب ولما   اقض بالوجد عبرة وعويلا

ايها القوم اقتضي دخل   ثم اقضي مع الدخول دخولا

كيف نبكي الطلول من هو رهن   لقراع الكماة جيلا فجيلا

عمرت دارنا تهامة في الدهر   وفيها بنى معد نزولا

وتساقوا كأساً مريراً عليهم   مثلما يقتل العزيز الذليلا

بسيوف عادية مرهفات   يترك الهام حدها مفلولا

فاستبحنا ملوك كندة طراً   وقتلناهم قبيلا قبيلا

---

(١) المناسك : من يتلوى في مشيته من الرجال

(٢) الانعمين : اسم موضع

وشفينا نفوسنا يوم سرنا ... من بني وائل فاضحوا بتولا (١)

يوم درنا ودارت الحرب فيهم ... اذ جلبنا مع الصباح الخيولا

وتركناهم دما اذ تركنا ... يوم جئنا بالمشرفي فلولا

وابدنا بيوتهـــا وهــدمنا ... وتركنا للريح فيهـــا ذيولا

واصبنا على المغار تميمـــاً ... فابدنا شبابهـــا والكهولا

وشببنا لقيس غيلان ناراً ... قد تنسى ذرى العقول العقولا

ونصبنا على كنانة ظلا ... بئس ظلا لمن اراد الظلولا

وتركنا همـــام قيس لما ... هيج الحرب للسباع مقيلا

اقصدته رماحنـــا ولقدما ... غدروا بالملوك غدراً ثقيلا

ثم ملنا على ذهيل فاضحت ... ذهلات عقول ذهل ذهولا

وادخرنا لمذحج يوم سوء ... يترك المرء خابلا (٢) مخبولا

وقتلنا على الثنية عمراً ... ولقد كان ذا ضراب جهولا

اذ كساه ابو ربيعة عضباً ... ذا حسام مهنداً مصقولا

لم توف لمجدها يوم سارت ... تبتغى المجد ان تحل السهولا

وذللنا بجمعنا البنى عليـــان ان الجليل يبغي الجليلا

وشفينا النفوس من حي بكر فاستكانوا لنا وكانوا ذليلا

لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا ... واخو الحرب من اطاق النزولا

---

(١) البتول : من انقطع عن الزواج

(٢) الخبل : فساد الاعضاء والفالج وقطع الايدي والارجل

وانتصرنا من الظلوم وابر قنا كماته عــــد الفحولا
يوم لا الخيل تستطيع طراداً ويوم لا يسمع القتيل قتيلا
وعلونا هام الكماة باسيا ف تراها من القراع فلولا
فوق خيل لنا نعاودها الكر تراها من الكر نحولا
قرت العين من لجيم بن صعب وبنى ذهل نكلوا تنكيلا
نطحت بكر نطحة فتولت فى جموع لها ضعاف هلولا (١)
لم ارم حومة المنية حتى احتذى الورد من دم تحجيلا
يا بنى ذهل قد دهيتم بامر اذ جهلتم وكان جهلا جهولا
يا بني بكر قد لقيتم عذاباً اذ لقيتم مهلهلا خنشليلا (٢)
يا بنى بكر اقدموا نحو حرب يغمط (٣) المتدين جيلا فجيلا
فارس يضرب الكتيبة بالسيف تراه لدى النزال نزولا
قتلوا ربهم كليبا سفاها ثم قالوا ما ان نخاف الخيولا
كذبوا والحرام والحل حتى نسلب البيض حليها المحلولا
لم يكن قتلهم كليبا بنصعى كبجير ولا كذهل هقيلا
بل قتلنــــــا به ثمانين الفاً من بني وابل فامسوا سدولا
واختلسنا نفوس قيس بطعن مرهق يذهل العروس الحليلا

---

(١) الهلول : الخائف

(٢) الخنشليل . الضعيف

(٣) يغمط . يضيع

يوم عجل دعوا لجيما نفاها ... يا له من دعاة باد ضليلا

واستبحنا ديار مرة قسراً ... وتركنا هامهم مشغولا

وصبحنا بخيلنا دار عجل ... يوم غادرت هاربا مغلولا

سيدوم الانام قتل كليب ... وتخاف الجبال حتى تزولا

وتموت البلاد منه وتلقى ... صاحب الحلم والاناة عجولا

واشب الوقود بالحرب حتى ... نتقاضى مع الدخول الدخولا

وابتنوا للحتوف قوما اليهم ... لتروى شلاحنا المنهولا

وتخف البلاد منا ومنكم ... فترى الناس في البلاد قليلا

بجيوش مثل الليوث مصاليت ... رجالا من تغلب وكهولا

فاجابه الحارث بن عباد يقول :

هل عرفت الغداة رسماً محيلا ... دارساً بعد اهله ماهولا ؟ !

لسليمى كأنه سحق برد (١) ... زاده قلة الانيس محولا

مقفراً غير ما اثافي (٢) شفع ... ماثلات له العراس مثولا

غيرته الضباء وكل ملث (٣) ... يرتمي بالعضاة جيلا فجيلا

تزعج الطير والاواري (٤) عنه ... سلع التل والقرار سهولا

(١) البرد : ماء النملم يتجمد في الهواء البارد ويسقط على الارض حبوبا

(٢) الاثاف : القطعة من الجبل تجعل القدر عليها وعلى حجرين امامها

(٣) الملث : للمطر اذا دام اياما

(٤) الاواري : الحر والعطش

وكان اليهود في يوم عيد   ضربت فيه زوفشا (١) طبولا
وامترته الجنوب حتى اذا ما   وجدت خودها علينا ثقيلا
ثم هالت عليه منها اسجالا   مكفهراً بسعيه تسجيلا
زعزعته الصبا فادرج سيلا   ثم هاجت له الدبور مخيلا
ثم هبت له الشمال فالقى   شم اروافه تحط الوعولا (٢)
ثم زجت خروفه نحو فلج   يتجاوبن اذ اردن الرحيلا
وتذكرت منزلا لرباب   ربما كان مرة مأهولا
غيران البسنين والريح القت   تربه في رسومه منخولا
قد اراها واهلها اهل صدق   في سنين من الربيع جلولا
يوم ابدت لنا سلامة وجهاً   مستنيراً وعارضاً مصقولا
جدلة الساق لم تكن ام عمرو   بدنيس عن المزاح كبيولا
اقصدتني سهمها اذرمتني   طفلة في شبابها حر كحيلا
وتدير السواك فوق اقاح   صافي اللون غدوة واصيلا
وكان للدام والمسك فيه   وفروع الرياح والزنجبيلا
ضبلته بعد الهدو لحب   مثل ما ريبة ولكن جليلا
ما غزال يرعى الرياض ويحنو   نحو خشف اذا اراد المقيلا

---

(١) الروفش . الزبغة

(٢) الوعول . جمع وعل وهو تيس الجبل له قرنان قويان منحنيان كسيفين احدبين ويجمع على اوعال ايضا

اذا تبدت لنا باحسن منها … اذ رنت رنوة وطرفاً كحيلا

حبذا اذ يقال للركب سيروا … وارفعوهن يعتلين الثقيلا

خالفات مع الخوالف رخ … كأن فى الارض وقعها تحليلا

ملجمات الجبال اكل منها … خلفها ملقح للهار لحولا

اسفت تغلب غداة تمنت … حرب بكر فقتـــلوا تقتيلا

غير انا قد احتوينا عليهم … فتركنا لهم بقايا فلولا

اذ كروا قتلنا الاراقم طراً … يوم اضحى كليبها مقتولا

وقتلنــا على الثنية عمرواً … وجلبنــــا عديهم مغلولا

وعدى طحى الى الجر منـــا … فاقمنــا للنمر يوماً طويلا

آل عمرو قد انتقمنا بضرب … يدعو المرد حين يبدو كهولا

وبطعن لنا نواقه فيهم … كفوار المزاد يروى الغليلا

ودلفنا الى تميم ابن مر … بجموع ترى لهن رعيلا

فاصبنا الذى اردنا وزدنا … فوق اضعاف ما اردنا فصولا

ونصبنا لقيس غيلان حتى … ما اردنا لرهم تحويلا

حين شدوا على البريز العذارى … اذ رأونا قبائلا وخيولا

فى رياض الصباح يبدين شعثاً … كسعال تبادر الصرعيلا

فسلوا ضبة ابن كليب واوداً … تخبروا اننا شفينا الغليلا

منهم حين يصرخون بكعب … وبذهل وكان قدماً نكولا

وطردنا من العراق إياداً … وتركنا نصيبهم مرسولا

ثم فرقن بين عك ولخم — وحيا الاشعرين فيضاً طويلا
ثم ابنا والخيل تجنب شعثاً — كالسعالى عفائقا وفحولا
سلساة القياد كتاً ودهما — ووراداً ترى بها تحجيلا
كل قوم نبيحهم وحمانا — قد منعناه ان يباح السبيلا
وكليباً تبكي عليه البواكى — وحبيب هناك يدعو العويلا
واستلوا كندة الملوك ببكر — اذ تركنا صميمهم مهزولا
وامرنا ملوكهم يوم سرنا — وقتلنا الرجال جيلاً فجيلا
واردنا لتغلب يوم سوء — وقتلنـــاهم قبيلاً قبيلا
ونزلنـــا بواردات اليهم — فتولوا ولم يطيقوا النزولا
وتركنا للخامعات شباباً — جزراً تنتفيهم وكهولا

أما شملتكم الحرب ؟!

قال ابن اسحق والح مهلهل بن ربيعة على بكر وجرد لهم فرسان قومه وصناديدهم وامدهم بالمدد والخيل وكان ممولا موسراً وجعل يكمن لهم على ديارهم ومحالهم ومياههم فلا يلقى شيخاً ولا صبيا الا قتله ولا يلقى لهم مالا الا اخذه وطحنهم بنفسه وقومه طحنا ثم انه خرج فى كتيبة مدلهمة ومعه كنيف بن حي بن الحارث وكان من اشراف تغلب وفرسانها فخرجا للغارة على بكر مجردين فمرا بقوم من بني تغلب فى جيشهما وكان لهم عز ومنعة وهم بنو تيم فقال مهلهل اركبوا معنا يا بني تيم لقتال بكر فكرهو عليه فقالوا ما كنا لنحارب من لم يحار بنا فقال مهلهل وما شملتكم الحرب والله ما كنا نظن الا

انها قد شملت من في الشرق والغرب من بني وائل فقال شيخ من القوم انما
شملت الحرب من جناها فذهبت مثلا قال كنيف فتنحوا من منزلكم هذا
فانا نريد الغارة على القوم ونخاف ان اصبناهم ان يصيبوكم قالوا ما علينا من
باس انما يطلبون من قتلهم فتركاهم ومضيا فى جيشهما حتى وقعا بحي من
بني بكر بن قيس بن ثعلبة ليلا فاخذوا اموالهم وقتلوا رجالهم واخذ مهلهل
رؤوس رؤسائهم واشرافهم فحملهم على ناقة لهم تسمى الحلق ورجعا فى
جوف الليل فطرحا الرؤوس فى دار القوم المعتزلين من بني تيم وبين بيوتهم
فلما اصبحوا اذ الكلاب تجر الرؤوس فعلموا كيد مهلهل وخافو العدو
فارتحلوا وانضموا بتغلب فلم يبق من بكر ولا تغلب قبيلة الا شملتها الحرب
وفى ذلك يقول مهلهل :

باشرت قوم زهير غير مقتصر ... والله يعلم ماذا تحمل الحلق
اني قريت زهيراً فى ديارهم ... همضانة يستقى من اذنها العلق
فلا جعلت ولا يبدو على دحض ... حدباء عارية فى ظهرها زلق

قاتلوهم بالنساء

قال ولما الح مهلهل على بكر واهلكهم ارسلوا الى من باليمامة من بني
بكر بن وائل ولم يكونوا شهدوهم لبعدهم عنهم فلما بلغهم رسولهم فعل مهلهل
باخوتهم وما فعل غضبوا من ذلك وانفوا وامدوهم برجل منهم يقال له القند
ابن سهل بن شيبان بن ربيعة بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

وكان سيد بكر في زمانه وفارسها وشاعرها وكان شيخاً كبيراً وانما سمي الفند بالفحل من الابل فسار الى بني شيبان وقد انتخب من اشكاله وفرسانه سبعين فارساً فارسلوا اليهم انا قد امددنا كم بالف فارس وسبعماية فارس فلما قدموا اذا هم سبعين تحت راية الفند بن سهل قالوا لهم فاين جماعتكم قال الفند انا بالف فارس واصحابي سبعماية فارس قال رجل منهم ذروني فكل ردف محال فذهبت مثلا قال وسمعت بهم بنو تغلب فخافوا الهلكة واستعدوا للقتال في عدتهم وتزايدوا في الخيل والرجال واستلاموا عددهم وصمد بكر بالغارة فالتقوا بعقبة تارة اخرى وعلى بني تغلب مهلهل بن ربيعة وعلى بكر الحارث بن همام بن مرة فلما تراه الجمعان قال الحارث بن عباد للحارث بن همام هل انت مطيعي فيما آمرك به قال ما انا بتارك رأيك الى ما هو اشر منه قال اعلم ان القوم مستقلون لقومك في السلم فزادهم جراءة في الحرب فقاتلوهم بالنساء فضلا عن الرجال قال الحارث بن همام وكيف قتال النساء قال تعمدون الى كل امرأة لها جلد وقبس فتعطى كل واحدة منهن اداوة وهراوة فاذا صففت اصحابك فصفهن خلفهن فان ذلك مما يزيد الرجال جلداً وشدة ونشاطا ثم تعلموا بعلامة تعرفها نساءكم فاذا جرح منكم انسان في القتال امرنه بسقيه واذا مررن من عدوكم بانسان ضربنه بالخشب فقتلنه ففعل الحارث بن همام ما امره به الحارث بن عباد وهو اول من اشار بقتال النساء مع الرجال فتحاشدوا لذلك وحلقوا رؤسهم علامة بينهم و بين نساءهم واستسلموا للموت ولم يبق يومئذ من بكر احد حضر الوقعة الا حلق رأسه الا رجل

منهم يقال له جحدر واسمه ربيعة بن ضبيعة جد المسامعة وكان من اشراف بكر وفرسانها وكان من احسن العرب وجهاً واجودهم شعراً وكان قصيراً ذميما وولده المسامعة مالك وعاصم ومقاتل وبجير ومحمد وعمران وقيس وشيبان بنو مستمع بن شهاب بن قلع بن عباد بن جحدر وكان لهم شرف في الجاهلية والاسلام قال جحدر لقومه يا قوم اني قصير ذميم واذا حلقت رأسي ازددت ذمامة فدعوا لي حمتي باول فارس يطلع من الثنية من تغلب اقتله لكم فاجابوه الى ذلك وتركوا جمته فوفى بشرطه ومن العلماء من يقول اسمه الكلح وهو جحدر لقصره وفيه يقول الأعشى شعراً :

وفينا الذي فادى من الحلق رأسه ... بستلهم من جيشهم ليس اعزلا
فادى اليهم بزه وسلاحه ... وكان بها عند اللقاء مفضلا

وفيه يقول طرفة بن العبد اليشكري :

منا الفتى الحارث المبتاع جمته ... يوم التحالف والفرسان تطرد
الحارث الكلح المقدام ازله ... عزاً تسامى فما يسطيعه احد

وقال جحدر في ذلك اليوم :

ردوا على الخيل ان الت ... ان لم اطاعنها فجزوا لمتي
ان يدي رهن لهم بفعلتي ... بجهورة او تمتري منيتي
اذا الكماة بالكماة التمت ... قد علمت والدتي ما همتي

ولنعمت في خرق وسمت اذ المنايا فوقنا اظلت
من كره الموت اذا ما كرة فان اعش فالمنايا صدتي
وان امت فمن رجال موة لا بأس بالموت اذا لم امقت

قطعوا أغمار سياطكم

قال فلما طلعت خيل بني تغلب من الثنية حمل الجحدر على اولها فارساً فاحتضنه وضرب عنقه وأتى برأسه قومه وابلى في ذلك اليوم بلاء شديداً حتى اثقلته الجراح فالقى نفسه في القتلى ومر به نساء بني بكر فوجدنه ذا جمة فضربنه بالخشب حتى قتلنه يحسبنه تغلبياً قال ابن اسحق ولما التقى القوم وتصافوا للقتال واستسلموا للموت واقترب الحيان واقترعت الرايات وايقنوا بالهلاك قال عمرو بن مالك من تيم اللات وهو شيخ كبير فقال يا بني بكر قطعوا اغمار سياطكم عن الخيل فان الرجل منكم لعله يضرب فرسه وهو حرد فيغت بطنه فيؤثر ذلك قبيحاً ففعلوا وهو اول يوم قطعت فيه العرب اغمار السياط وسمي عمرو مقطع الجذم وقال عمرو بن شيبان يوصي بنيه فقال يا بني اذا لقيتم اخوتكم فاطعنوهم شزراً واجذبوا الرماح نزراً حتى تصدروها حمرا واعلموا ان منايا القوم في خيولهم اليسرى وكان عمرو كثير المال والولد فسأله بنوه ان يعطي فرسه رجلاً منهم يقاتل عليه فقال لا اعطيه الا رجلاً لا يعصيني فقال ابنه الا زور يا ابتاه فانا الذي لا اعصيك قال فدونك الفرس فاركبه واعتزل القوم جانباً فان رأيت بني تغلب انهزموا فاعرض لهم فان رأيت رجلا قائم سيفه فضة وعليه ثوبان اسودان فأتيني به قال فركب الأزور

الفرس وتنحى فلما رأى تغلب انهزموا في آخر النهار اعرض لهم اذ مر به ذلك وكان فارس بني تغلب وكان على ما وصفه له ابوه فاخذه وأتى به ابان فلمس بيده الى يداه وكان التغلبي يسمى كعباً و يلقب برة القنفذ فقال الاعمى فاقسم بالله ان يدي آخذة بيد برة القنفذ قال برة يا ابا الازور وانا هو قال الاعمى فاقسم بالله لا تفلت مني حتى البسك جلد العلة ناقة له ثم لا اخليك الا بمائة ناقة تلقح كشافاً وتنتج اناثاً ثم شده وثاقاً فحبسه زماناً عنده حتى فداه الاسد ابن خيثمة العجلي وكان صديقاً لكعب ونديماً وكان شريفاً موسراً فدفع الى عمر الاعمى مائة ناقة على ما وصف وخلص كعب .

الموت أفضل الطريقين

قال فاجتلد القوم بالسيوف صدر يومهم ذلك ثم جالت بنو بكر على تغلب فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم واخذ برة في تلك الجولة ثم اعترض تغلب كتيبة واحدة تحت راية مهلهل كانها ركن ثبير فطرحت الاغماد ونادت كلبياً كلبياً وانصبت جمهورها على بكر ضرباً بالسيوف على الهام حتى ولت بكر مدبرين واختلفت اعناق القتلى وصارت راية مهلهل بين الفئتين لا ترى حوله الا ضارباً او مضروباً وشق الخيل شقاً ثم من عرفه بكرياً قتله ومن انكره كف عنه خوف الخطا واعترض عوف بن مالك بن ضبعة البكري بناقته وعليها ظعينته وقومه مدبرين فعقر ناقته وحثى التراب في وجوههم وقال يا لبكر اين النساء والحريم ان الموت افضل الطريقين ثم

شهر سيفه قائم وزعق بهم وقال وايم الله لا يمر بي هارباً الا اذقته القتل الذي هرب منه وكان مسموعا واجتمعت اهل الحيات ونادوا البروك يا لبكر لا خير في بكرى لا يبرك يا بكر البرك عند الدرك فبركوا قعوداً وصفوا التراس وظموا خيلهم كتيبة واحدة واصاموها عن الجرى قياما وصاح الناس عليهم من حولهم وفى وجوههم يا لبكر الثمار الدمار وهي العودة وكان مع الفند بن سهل ابنتان له تحضان الناس على القتال فكشفت احداها خمارها وجعلت تقول محرضة لقومها وعاوعا جر والجراد والقطا وامتلات منه الحياض والربا ياحبذ المحلوك منا بالضحى قال ابن اسحق واقبلت كرمة بنت ضلع ابن عبد غنم وهي ام مالك بن زيد فارس بكر تحرض قومها وهي تقول :

ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * وتدهن المفارق

ان تدبروا نفارق * فراق غير وامق * عرس المولى طالق

والعار منه لاحق

وحمل الفند يطاعن ويحرض قومه ويقول :

دارت الحرب رحاها	فادفعوها برحاني
واضربوها يا لبكر	ليس ذا حين ونائي
وانظروني حين اعدو	ثم كونوا من ورائي

ثم طاعن وضارب كشافاً حتى فرج عنهم وتنفسوا وقتل رجالا وعطفت حينئذ بكر على تغلب حتى اختلطوا بالسيوف ونظر الحارث بن عباد الى فارس من تغلب لا يدنوا من كتيبة الا هدها فدعى بعمامة فشد حاجبيه

واوثب النعامة على الفارس فاحتظنه واتى به قومه ولم يكن يعرفه لطول العهد وتمادي الحرب فقال :

اني ارى ذا جلد وبأس تخاله البجير اذ تقاسى
في حله والطرد والدعاس فهو به الوفاء دون الناس

الحرب خدعة

قال وكان مهلهل ذا رأى ومكيدة فلما ايقن بالملكة اعتزل عن فرسه متنكراً وقصد شيخاً كبيراً من ذهل بن شيبان يقال له عوف بن ملجم بن ذهل بن شيبان وكان له نديماً فى اولها واقبل الحارث فجعل يدانيه حتى استجار فى السر ومكر بالحارث ابن عباد فقال له مهلهل يا حارث الا ادلك على مهلهل فتقتله وتؤمنني وقد عرفه ولم يعرفه الحارث قال وكيف لي بذلك قال اعطي ضمينا بالامان قال اختر لك ضمينا من بكر ترضى به قال اريد عوف بن ملجم قال الحارث اضمن له يا عوف فدنا عوف من مهلهل ورآه فتنكر وخاف ان لا يفي الحارث لما يعرف منه فى عداوة مهلهل وحزازته وخاف السبة على نفسه فى ضمانه وعلى الحارث فى مسيره وعلى بني بكر وكانت العرب ترى الموت قبل نقض الذمة والعهد فلما اعطاه الحارث ذمته وضمن له عوف بن ملجم قال الحارث هل تدلني على مهلهل قال وما تريد ان تصنع به قال اقتله قال فاقتلني قال امنتك واجرتك قال ما اعلم مهلهلا الا اسيرك قال ثكلتك امك من انت قال مهلهل ان ربيعة خدعتك عن

نفسي والحرب حدعه فذهبت مثلا فندم الحارث على اجارته وكره الغدر به
وجعلت اخته ام الاغر ابنة ربيعة تقبله وتبكى وتقول للحارث يعني اخي
بولدى ولا تتركني بلا اخ ولا ولد قال الحارث لا يجعلني الله كريماً واجعل
نفسي غادراً ثم التفت الى مهلهل فقال كافني بما صنعت بك بعد جرمك العظيم
قال بماذا قال دلني على شريف من قومك اقتله بولدي بن اختك بجير
اسيرك وقتيلك قال مهلهل ارضى بامرىء القيس بن ابان قال الحارث ثكلتك
امك وما خير قومك بعده رضيت به فوق الرضى قال افترى صاحب الفرس
الاشقر المعتجر بالعمامة الحمرا الذى يعطفها بيده كيف شاء قال نعم قال فان
ذلك امرىء القيس بن ابان فقصده الحارث بن عباد فاحتظنه واتى به قومه
فضرب عنقه قال وكان مع بن ابان رمح طويل فقال الحارث رمح الجبان
طويل فذهبت مثلا قال وامرىء القيس الذي كان مع مهلهل يوم قتل
بجير ونهاه عن قتله وقال والله لئن قتلته ليقتلن به الحارث كبش بني تغلب
ولا يسئل عن حاله فكان المقتول ببجير وحمدت بكر عون بن مالك بن
ضبيعة فى ردها عن الهزيمة وقال فيه المنخل السعدي :

مددة كما سد بن فيض سبيله   فلم يجدوا فوق الثنية مطلعا

قال ورجع مهلهل الى قومه فعطفوا وقاتلوا قتالا شديداً واقبلت امرأة
من بكر ومعها صبي لها فرآها مالك بن الحارث من فرسان بنى تغلب فحمل
عليها وعلى صبيها وهو يقول الفرخ الفرخ فطمنه ورفعه على رمحه فلما رأى

ذلك الفند بن سهل قصد اليه وانف للصبي فطعنه فانتظمهما جيعاً فى رمحه فصرعهما وفى ذلك يقول :

يا طعنة قد اطعنت مالكا ... اهون بها عز علينا هالكا

وقال ايضا :

يا طعنة من شيخ كبير بالى ... برمح ينظم الردفين نظما بعد احفالى

أين آبائنا واخواننا ؟ !

قال فقاتل القوم اشد ما يكون من القتال وكثر قتل بعضهم بعضاً حتى كان اخر النهار وانهزمت بنو تغلب وظفرت بها بنو بكر فاديلوا عليهم باسرافهم وتعديهم وطلبوا غير ثارهم ولحقوا بظفرهم بعد قتل كثير وسارت تغلب بظعنها ونعمها ولم يلحقهم مهلهل الا آخر النهار وقعد يعد القتلى فالتقى نساء الحي والصبيان ومن تخلف من الرجال عن الحرب يسألونه عن آبائهم واخوانهم فابى ان يخبرهم وكان اول من اتى اهله حلاله بعد الهزيمة ولم يهزم من اهل حلته الاجريح ولا يروح الا محمولا فدنت اخته الجليلة ابنة ربيعة فالحت عليه فى السؤال عن حالهم فانشأ يقول :

يا جليلة ابنة الكرام الحلالا ... لم تملى وتكثرين السؤالا

ان تسألى عن الرجال اصيبوا ... قد اصابو قبل المصاب رجالا

لم ادم حومة للمنية حتى ... احتذى الورد من دماء نعالا

فيقيني بصدره واقيـــة ... بقضيبه من القنا حيث جالا

خيرنا كل ولكن مهري   اعمدوه فلم يروم بجسالا
حرقته رماح بكر جيعاً   فتوخت لبانه والقذالا
ولقد قلت لابهاليل من تغلب   سيروا وودعوا الأثقالا
انني قد رأيت جمعا لبكر   فيهم حارث يريد النضالا
فذروني ومعشر طلبوا البا   طل والجور جهدهم والضلالا
ان يصيبوا يوما فلابد ان تصرف عن حالها المنية حالا

الضلال في الحرب

وقال الحارث بن عباد في ندمه على مهلهل :

لهف نفسي على عدى ولم   اعرف عدياً اذامكنتني اليدان
فارس يضرب الكتيبة بالسيف   ويسموا امامه الفتيان
ضل من ضل في الحرب ولم اثأر يابى الا   بابن ابان
فارساً قد اصاب منا اناساً   كان ثاره لوان على كفان
كم قتيل من الاراقم مطلول   وميت عن وجهه صديان
وقديم بكامل الكبير وذو العز   وذل العزيز ذو السلطان

لننصرن شريفاً

فاجابه مهلهل بن ربيعة :

قد اتاني ماقلت خير بيان   وكلام يحوكه باللسان

ترى اذاك فى المنام وانا لانبالي برؤية السكران
كم طويل على الطوال تخطى فقصرنا من خطوه بالسنان
قد كذبت بانى قلت قولا لم اقله وجرت فى ابن ابان(١)
واعتمدت الخطا بغير صواب واردت الفرار قبل التدان
ان بقينا لننصرن شريفا قد مثلتم به رفيع المكان
انطحنا من تحته الموت حتى ليس بالمسى ولا الوسنان
ليس يغنى الحذار فى البغض شيئا فالقنى ان بغيت ان تلقاني
سترى الموت ان سلمت عيانا وان اهلك رأيت غير عيان
لايبدن منكم كل شخص صادق في فعاله واللسان

الهزيمة

قال ومضى مهلهل بجماعة قومه نحو العراق منهزما وغارت بنو بكر فى آثارهم من منزل الى منزل حتى لحقوهم باطراف الجزيرة وما يليها من البلاد فثم اصل بنى تغلب الى اليوم وسمى ذلك اليوم يوم التحالق حيث حلقوا رؤسهم وفى ذلك يقول طرفة بن العبد اليشكري .

يوم التحالق

سائلوا عنا الذي يعرفنا بجزازي يوم تحلاق اللمم

---

(١) سبق ان المهلهل لما وقع اسيراً في يد الحارث بن عباد افتدى نفسه من الامر بان دل الحارث على امرء القيس بن أبان فقتله الحارث بابنه بجير
وهنا ترى المهلهل يكذب مانسب اليه ويتبرأ من ذلك فتأمل

يوم تبدى البيض عن اسواقها ... وتلف الخيل اعجاز النعم

نصدم الراس براس صلدم ... حازم الامر شجاع فى الرغم

تقحم الخيل على مكروهها ... حين لا يقحم الا ذو كرم

كامل يجمع فتكا وندى ... علماً سيد ساداتٍ خضم

خير حي من معد عادم ... لمضاف ولجار وابن عم

يحسب المحروم فينا ماله ... بثناء وصراح وخدم

مثل اللحم في مشتائنا ... خفر الذنب وطراد العدم

نزع الجاهل من مجلسنا ... فترى المجلس فينا كالحرم

وتفرعنا العلاء من وائل ... هامة العز وخرطوم الكرم

من بنى بكر اذا ما نسبوا ... وبنى تغلب فرسان البهم

حين يحمى الناس يحمى سربنا ... واضح اللحية محمود الشيم

بحسامات تراهـا وسباً ... فى الضريبات متمات القسم

معنا جرد وخيل ضمر ... شعث من طول تعلاك اللجم

هيكلات وفحول حضراً ... اعوجيات اذ الداعى اضم

علم البيد مسحات اذا ... سالت الايدى عليها بالحدم

لفض الارض بزج وضح ... وتثير النقع انداء الاكم

كل دهماء اذا ما اقبلت ... وكميت اللون ان امر اصم

تتعادى بشباب سادة ... كليوث عند عرين الاجم

الظلم الكبير

وقال عمرو بن ربيعة :

تسربلنا الحديد ليوم باس ... على الحيين صعب قطرير

وما تحت الحديد اشد منه ... على الاعداء بن غلل الصدور

وما دفع الدناءة عن اناس ... كمثل الصبر في يوم العسير

وتوطين النفوس على المنايا ... وهل للنفس منها من مجير

تواعدت الاراقم مسرعات ... الى دار القطيعة والفجور

وقالوا ليس يوف في كليب ... بنى جشم سوى القيل المنير

وهم في وائل عدوا واعدوا ... مكاشفـــة تهتيك الستور

فان صغير ظلم القوم ممـــا ... يجرهم الى الظلم الكبير

فلما ان رأيت الامر جلت ... جرائره على جر الستور

ولم نر من ضرير الشر منجا ... سوى قذف النفوس على الضرير

قذفنا بالنفوس هناك قذفا ... على ما كان من وغر الصدور

وزحزحنا ضرير الشر عنا ... بانضاء المهندة الذكور

فاجلى عن منازلنا وعنـــا ... منعلقـــة بابيات الدتور

طرفة الغلام

قال بن المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي اول شعر قاله طرفة ابن العبد البكري ان امرأة كان يقال لها وردة ابنت قتادة بن مسد بن

عمرو بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ظلمها قومها حقا لها فخرج طرفة وهو غلام فقال أو بني تنتظرون بحق وردة ثم مضى فقال شيخ من القوم القوا هذا الكلام نحوه فو الله ليقولن الشعر فاعطوهـا حقها فقال في ذلك طرفة .

حق وردة

ما تنظرون بحق وردة فيكم   صغر البنين ورهط وردة غيب
قد يلحق الامر الصغير كبيرة   حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل   بكر تساقيها الحمام وتغلب

وفيه يقول يزيد بن حجيفة اخو مالك بن سعد وشهر بالقمر لجماله وكان يقال له قمر نجد :

بلغ حصينا ان اردت رسالة   اولا فانك ذو غدار مسغب

لابد من قتل مهلهل

روى ان حديث مهلهل في ابن ابان الى الحارث بن عباد اشتهر وغضب قرابة بن ابان وقالوا لابد من قتل مهلهل قال قائل منهم فليس اقرب من اليوم واذا قتلناه استرحنا منه واجتمعت قبائل وائل وارادوا الوثوب عليه فقامت دونه جماعة من بني تغلب واكابرها وأهل الرأي وقالوا لا يقتل مهلهل ومنا عين تطرف فمنعوه وبلغه ذلك فانف وغضب وعزم على فراقهم فاجتمعوا وقالوا ما كنت تفارق عشيرتك الا من هؤلاء الاوغاد ونحن بين

بديك فرنا فيهم بما شئت فقال والله لا اقيم في تغلب بعد ان حدث رجل منها نفسه بقتلي وفارق مهلهل قومه وسار بماله واخوته واهله ولحق بارض اليمن فاستجار فى مدحج وسكن فى سعد العشيرة فمكث فيهم ما شاء الله ثم مشى اليه رجال من مدحج واشرافهم فخطبوا اليه ابنته سلمى فابى عليهم فقالوا يا مهلهل انك لترغب بابنتك عنا حتى كأنك خير منا فانكحها رجل من جنب ابن سعد العشيرة وقال اليكها فلست بخير منك في بلدك ثم نادى بالرحيل فى اهله وحشمه وقطعهم ثلاث قطع وتخلف فى فرسان من اهل بيته خلف الظعن فلم تبالي مدحج بسيره وانشأ يقول :

ليسوا باكفائنا

نهنهني صاحبي فقلت له	ان الحظوظ جعلن بالقسم
اصبحت لا منكحها امته ولا	بنتي سليمى تخلو من الندم
عن علي واسئل بما لقيت	اخت بني الاكرمين من جشم
انكحها ناقد الاراقم من	جنب وكان الخباء من أدم
ليسوا باكفائنا الكرام ولا	يغنون من عيلة ولا عدم
لو بابانين جاء يخطبها	ضرج منه جبينه بدم

الحمية العربيـة

فلما بلغ بكر وتغلب ذلك غضبوا وأنفوا واخذتهم حمية الجاهلية فقصدوا البلاد حتى اخذوا المرأة وأسروا زوجها وكان رأس بكر يومئذ

الحارث بن همام بن مرة و رأس تغلب ياسر بن اضواث بن تميم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وكان مهلهل قد خالف رأى تغلب فلحق بالنمر بن قاسط وهم احلافه و انصاره وفيهم يقول مهلهل :

حفضاً للحلف

ملنا الى حيث ناقي معشراً انفاً نحمي الحريم ولا نغتال بالظعن
وقد كففت رماحي وهي شارعة حفضاً لحلفي وحلف ذي يمن
ذكرني عهدها وعهدهم يوم اختلفنا ونتحر البدن

أمام قبر كليب

وكانت النمر عامة بني تغلب قد خافوا بني بكر ورجعوا الى بلادهم وتركوا الفتنة وملوا الحرب ولم يمحض مهلهل صلحهم، فاقام فيهم مهلهل ما شاء الله يرثي كليباً بالاشعار ليس له هم غيره ثم اشتاق الى اهله وقومه ودعته ابنته سليمى الى قربهم والاجتماع بهم لما اخذوها و رجعت اليه فاجابها الى ذلك وسار الى بلاده حتى قرب من قبر اخيه كليب وكان اول ما يلقاه وكانت عليه قبة او علم رفيع فرآه مهلهل فخنقته العبرة وكان تحته بغل نجيب فلما رأى البغل علم القبر في غلس الصبح نفر هارباً فوثب عنه مهلهل وضرب عرقوبه بالسيف فعقره وبه ضرب عبدالله بن عجلان المثل لقومه حيث يقول :

بين الكر والفر

فابرزت مقبـــلة بيننا وبينك عن جولة الجائل

وحرباً تكون على قومكم كحرب كليب على وائل
فان تقتلوا فبارماحنا وان تدبروا فالى الاكل

فعل الحرب

وقال رجل من بني شيبان يقال له سدوس بن مالك :

ألم تعلموا ما ابقت الحرب بيننا وجب لها منكم سنام وحارك
فماذا يرد الله رد ابيكم أفي كل يوم يلقح الحرب مالك
فان كليباً قد مضى لسبيله وكان امرؤ تأوي اليه الصعالك

حذو النعل بالنعل

وقال مهلهل لما عقر بغله :

رماك الله من بغل * بمشحوذ من النبل * اما تبلغني اهلك * او تبلغني اهلي
اكل الدهر مركوب * من النكباء والعزل * وقد قلت ولم اعدل * كلام غير ذي هزل
ألا ابلغ بني بكر * رجالاً من بني ذهل * وابلغ سالفاً حلوا * الى قارعة النخل
بدأتم قومكم بالغد * ر والعدوان والقتل * قتلتم سيد الناس * ومن ليس بذي مسل
وقلتم كفوه رجل * وليس الراس كالرجل * وليس الرجل الا ما * جد مثل الرجل النغل
فتى كان كألف من * ذوي الانعام والفضل * لقد جئتم بها وهما * كالحية في الجدل
وقد جئتم بهاشعوا * اشابت مفرق الطفل * وقد كنت اخالهو * فاصبحت اخاشغل
الا ياعاذلي قصر * لحاك الله من عذل * كثل الحنظل الناقف * لا مثل جنى النحل
فما اعتنق العذراء * تجلو العين بالكحل * وقد انسأ للندمان * بالناقة والرحل

وقدازع بالزوراء * فيعطيني على نحل * لها زلزلت بالسهم * تحكي النبي بالشكل
على علم تخيرت * لها المكنون من نسل * لها طوقان بين الريش * من علو ومن سفل
تشبهها اذا ارتكضت * برعد صادق الوبل * وقد اختلس الطعنة * تثني سنن الرجل
وقد اخطر بالسيف * لدى الهيجاء كالفحل * واني بعد بالضربة * لا يدمي لها نصل
بانا تغلب الغلبا * سنعلو اكل ذي فضل * تساميني بها الاوتا * ر طلابون للدخل
رجال ليس في حرج * لهم مثلي ولا شكلي * بما قدم جساس * لهم من سيء الفعل
سأجزي رهط جساس * كحذو النعل بالنعل

في الشر نجاة

وقال الفند بن سهل بن شيبان في ذلك اليوم :

كففنا عن بني ذهل	وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يرجعن	قوماً كالذى كانوا
و بعض الحلم عند الجهل	للــذلة اذعان
وفى الشر نجاة حين	لا ينجيك احسان
فلما صرح الشر	فامسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوان	دناهم كما دانوا
شددنا شدة الليث	غدا والليث غضبان
بضرب فيه توجيع	وتوهين وارنان
وطعن كفم الزق	ومي والزق ملآن
له بادرت من احمر	الجوف وثعبان

قبسنا منهم ناراً وللنيران نيران
وولوا اذ تمكرنا لهم والموت عجلان
حذار الموت ان الموت للاعــداء محسان
قصدنا نحوهم حتى اذا جزنا لهم لانوا
فامسوا رهن الرمل عليهم ثم اكفان

الوفاء بالعهد

قال ومضى مهلهل فنزل في قومه وبلاده زمانا غير انه مرصد للحرب لا يهم بصلح ولا يطعم مداما ولا يحل لامته ولا سلاحه ولا يضرب قداحاً ولا يقرب نكاحا ولا يشم ارواحاً ولا يلهو بلهو ولا يغتسل بماء حتى كان جليسه يتأذى من صدء الحديد وكثرة المعارك حتى اتاه رجل يقال له ربيعة بن الطفيل التغلبي وكان له اخاً ونديماً فلما رأى ما به قال اقسمت عليك ايها الرجل لتغسلن بالماء البارد ولتبلن ذوائبك بالطيب قال مهلهل هيهات هيهات يا ابن الطفيل هبلتني اذاً يميني وكيف باليمين التي آليت كلا او افنى من بني بكر ادبي قال ربيعة على رسلك ايها الرجل فلا ضير عليك اما غلامك فيقل البيضة وهي مسدولة على عاتقك والآخر يصب الماء والخطمي فابل مفارقك الطيب والذرائر قال مهلهل فلا آمرك ولا انهاك انك من ذوي رحمي وكأخي كليب فجاء ربيعة ليفعل ذلك فلما هوى بيده الى البيضة ليقلعها اذ هو بجواب في البيضة واذا يقحف هامته يبدو واجس مهلهل بالرياح فقال

يا غلام ردها فوانصاب وائل لا تزول من مكانها حتى تأخذ من بكر الحق او اذوق الموت ولكن ارم بيدك الى ناحية الجربان حتى تنال ظهري فاني احس شيئاً قد اذاني فاهوى الغلام بيده فاذا شيء فقبض عليه واخرجه فاذا هو قبضة قمل بدرت من تحت البيضة متراكة فلما نظر اليها مهلهل قال وابيك يا ربيعة ما نلت ثاري بعد او يرجع هذا القمل عقارب وافاعي ثم تاوه وزفر وانشد يرثي كليباً :

ذهب الاهي بالسماحة

ان في الصدر من كليب دواه · هاجسات فكان منه الجراحا

انكرتني حليلتي اذ رأتني · كاسف اللون لا اطيق المزاحا

ولقد كنت اذا رجل رأسي · ما ابالي الافساد والأصلاحا

ليس من عاش في الحياة شقياً · كاسف اللون هائماً ملتاحا

قل لمن عاش في رخاه وروح · ثم خلا حياته فاستراحا

يا خليلي ناديا لي كليباً · واعلماه اني ملاق كفاحا

يا خليلي ناديا لي كليباً · ثم قولا له نعمت صباحا

يا خليلي ناديا لي كليباً · سيداً عند قومه .تماحا

يا خليلي ناديا لي كليباً · ماجد الجود والندا المرتاحا

يا خليلي ناديا لي كليباً · قبل ان تبصر العيون الصباحا

لم ترى الناس مثلنا يوم سرنا · نسلب الملك غدوة ورواحا

وضربنا بمرهفات عتاق · تترك الهدم فوقهن صباحا

ترك الدار فوقنا وتولى عذر الله ضيفنا يوم راحا
جاور الخوف بعد طول نعيم وكبى اللون فانثنى ثم طاحا
ذهب الدهر بالسماحة منا يا لذ الدهر كيف راض الجماحا
ويح امي وويحها لقتيل من بني تغلب وويحا وواحا
ابلغوا نفسه وراحوا جميعاً لم اطق في الذين راحوا رواحا
يا قتيل نماه فرع كريم فقده قد اشاب مني المساحا
كيف اسلو عن البكاء وقومي قد تفانوا فكيف ارجو الفلاحا
كيف الهو عن المدام بشرب وقد اصبحت لا اسيغ القراحا

اين ليلى ؟؟

فاجابه الفند بن سهل حيث يقول :

عجل اليوم صاحبي بالرواحا واسقياني قبل التروح راحا
هل ما بالفؤاد يذهب عنه ان عقلي امسى عزيباً مراحا
اين ليلى واين ليلى وليلى امرضت خيرنا رجالا صحاحا
لا ترا عاشقا تعلق ليلى ويلاق الممات منها رواحا
هاج لي ذكرها حمام هدو يذكر الألف في الغصون فناحا
لقيت تغلب كهلة بعاد اذ اتاهم هول العذاب صباحا
ونهاهم نبيهم يوم ذاكم ودعاهم الى الأله صراحا
ونهينا عن حربنا تغلب العشو فما عافت البلا والمتاحا
دون ان ابصرت خيولا لبكر وسيوفاً هندية ورماحا

فقتلنـــا بواردات رجالا … اذ بدا كاظم الضمير ضباحا

ولقى القوم بالذنائب منـــا … اذ كشفنا الخلود موتاً ذباحا

واسرنا عديها واصطنفنا … بيد لو اثاب منـــا نجاحا

سفهوا حلمنا فلما اثاروا … للقاء الكماة طاحوا طياحا

لقيوا اسد غابة وكهولا … وقنا تصرع الكماة سباحا

يطردون الخيول فى رهج النقـع ربقرون بالسيوف السلاحا

سابحوا شيخنا جحيشاً وكانوا … كلما اخرجوه للحرب ساحا

ولقد كان كارهـا للذى كان … رجاه بان يكون الرباحا

فاصابوا بجير من غير جرم … كان منه اذا صادفوه كفاحا

ضرجوا ثوبه وقالوا سفاها … انت بالشسع من كليب صراحا

فاصـــاب المقال اناف بكر … فابادت به الرجال الصباحا

ورجت تغلب تصيد كليباً … فاطحنا سراتهم حيث طاحا

قد تركنا نساءهم معولات … معلنـات مع البكاء النواحا

بقيت بعده الجليلة تبكى … والخرد العيطاء تدعو لحاحا

وتركنا اصيبيات صغار … وذرارى يحسون القراحا

كان سهم النساء سهم جباه … واجلنا على الرجال القداحا

وتركنـا ديار تغلب قفرى … وكسرنا من القوات الجناحا

وتر الزير يعج القول فينـا … بعدما صار مفرداً مستباحا

هو فى الشر فاتل وهو … ليته مات قبلها فاستراحا

نقض الصلح

قال ابن اسحق ولما بلغ مهلهل هذا الشعر اسمعه تغلب فاتقوا له و نقضوا الصلح واغار بتغلب على بكر فتواثبوا للحرب والتقوا بالشعب فاقتتلوا قتالاً شديداً اكثر فيه القتل وانهزمت تغلب وقتل منها جماعة منها عمرو بن ضبيعة جد عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر وفي ذلك يقول الحارث بن عباد :

سلوا عنـــا

عفا منزل بين اللوا والحوابس ... لمر الليالي والرياح اللوابس

فلم يبق من اياته غير هامد ... واخر مرس بالمدفة يابس

وغير ثلاث كالحمائم جثم ... ومغنى حمام قد قد من دوارس

تلوح عراض الوشي والنوى حوله ... كما لاح عنوان جديد القراطس

تعفت وعفاها من الصيف دلج ... تصب العزالى بالغمام الرواجس

له زجل في حلفيته ورجة ... كصوت طبول جوبت بالنواقس

وقفت بها ارجو الجواب فلم تجب ... وكيف جواب الدارسات الخوارس

تحمل منها اهلها بعد غبطة ... وقد عمروها بالحسان الفوارس

عليهن الوان الحرير وبزه ... شغاميم امثال الضباء الكوانس

نواعم ما صادفن عيشا منكدا ... وفي النفس من تذ كارهن وساوس

بنى تغلب لم تنصفونا بقتلكم ... بجيرا ولما تقتلوا في المجـــالس

وحتى تبذ الخيل في عرصاتكم ... وتلقون الما شداد المتنـــاجس

كايام عاد اذ بغوا وتكبروا فاضحت قرام كالقفار البسابس
مناوا تخبروا عن معشري اي معشر وعني اذا لا فيتكم اي فارس
وهلا سألتم بالقديم بحربنا لتيم بن مر عند ضرب الفوارس
غداة حوينا سبيهم ونساءهم ودسناهم بالمقربات الدواعس
ولما سلوا عنا وعكا ومذحجا غداة ازرناهم بطون الرواس
عليهن من ابناء بكر بن وائل مرازبة في الباذخ المتقاعس
ونحن قتلناهم على عهد كبشهم وعمرو بن زنباع وزيد بن حابس
الم تلقكم ايام كلثوم خيلنا هنالك في عمق من الليل دامس
قتلنا الذي يحمى الكتيبة منكم وغودر قتلى جمة في الكنائس
ونحن قتلناكم غداة محجر بني تغلب فيها اجتداع المعاطس
قتلنا باعلى الشعثمين زهيركم وعمرواً قتلنا منكم وابن قابس
ونحن قتلنا في حماكم كليبكم وكم من فتي قد قتلنا وبائس
في العز والمكرمة

فاجابه مهلهل بن ربيعة يقول :

قل لحار واشياخ له حضروا سيروا فانكم لا بد في تعس
يا ويح بكر لقد ابقى الزمان لها شجواً بقتل كليب الباس والمرس
حلفت بالله رب الناس كلهم رب النهار ورب الليل والغلس
لاصبحنك جمعاً انت تحذره يقوده كل ليث باسل شكس
ضخم الكتائب محمود لقاؤهم مثل الليوث كرام غير مانكس
لا يعدلون بشرب الخزان حضرت اخنى الشدائد يوم الباس والضرس

كليب اى فتى عز ومكرمة عند الحفاظ اذا ما غص بالنفس

فيا لقومى لشيبان التي ركبت حر با زبونا جناها كل مبتئس

شفيت نفسي وقومى من سراتهم يوم اللقا واودى الحار فى مرس

من عاذر من بنى شيبان انهم صاروا يريدون مجداً غير مختلس

حلت بهم شقوة كانت تقودهم الى المنايا فذاقوا شقوة البؤس

لأخذن على بكر بما صنعت ضنك المضيق كفعل الضيغم الشكس

ابلغ حنيفة انى غير تاركهم حتى توار يهى الا كفان فى الرمس

آليت لا اترك الاقوام كلهم الا وهامتهم كالحنظل اليبس

يا ام ذا الرجل المقتول فاصطبري حتى ترين بحور النقع فى فرسي

ابلغ لجيما وذهلا ان لقيتهم قدعيل صبري وحان اليوم مفترسي

وقل لحار وعبد القيس كلهم اركب نعامه اني راكب فرسي

واجمع جموعا لبكر غير مفلحة يوم اللقاء فانا اخوة المرس

هلا سألت تميما يوم تصحبهم عرج الضباع لمجدول ومفترس

انزلوا حيث شئتم

قال ثم ان مهلهل اجدبت ارضهم واصابتهم شدة افنت اموالهم فانطلق مهلهل فى نفر من قومه حتى اتوا بني بكر بن وائل ورأسهم يومئذ همام بن مرة رأسه قومه بعد قتل ابيه و كان كريم الاخلاق فقال له مهلهل يا ابن اخي ان ارضنا قد اجدبت وان اموالنا قد اهلكت وقد جئنا لترعونا من الكلاء وتسقونا من الماء فانا اخوتكم وبنو عمكم فقال له مرة بن همام اهلا

بكم ومرحباً انزلوا حيث شئتم فى الرحب والسعة فقال مهلهل وصلتك الرحم فبلغ ذلك صغير بن كلاب وكان من كبراء بكر واشياخها وكان كبير السن عبوساً خبر القوم فلبس عمامته وركب فرساً يقال له الحصين وانطلق حتى اتى مرة بن همام فقال يا مرة اتريد ان ترعى بني تغلب وترويهم من الماء حتى اذا سمنوا ووطنوا وثبوا علينا وايم الله لا انزل من ظهر فرسي او تخرجهم او اطاعنك عليهم او يبيعوا الفرس الكريمة بالشاة المعيبة فبلغ ذلك مهلهل وقومه فارتحلوا من بلادهم وانشأ يقول :

انفت من هولنا اباؤنا	ان نبيع الخيل بالمعز الاجاب
واعلموا ان لدينا عزمة	غير ما قال صغير بن كلاب
انما كانت بنا موصولة	اكل الناس بها احرى النهاب

واجب الحلفاء

قال ومضى مهلهل وقومه حتى نزلوا باحلافهم بنى النمر بن قاسط فاوسعوا لهم وارعوهم وسقوهم واقاموا معهم ما شاء الله عز وجل وانتقض الصلح من غير ان يكون بينهم قتال سوى ان مهلهلا وصعاليك بنى تغلب لا يزالون يغيرون على بني بكر ويصولونهم ويأتون الى النمر بن قاسط ورأسهم يومئذ سالم بن زيد النمري وكان من اشراف ربيعة وساداتها وكان اكثر العرب مالا وابلا سخياً بماله وكان طريق السفر على آل مرة بن همام وكان غنياً كريماً حسن الاخلاق وكان مرة بن همام يقعد على طريق الحاج والسفر يسقيهم اللبن ويطعمهم الخبز واللحم فلا يمر به احد من الحاج الاسقاه من اللبن

وزوده من اللحم وحمل الضعيف والحاسر وفيه يقول زنباع الشيباني في شعر له يفتخر به

بنى لجحيج الله عند طريقهم   يروى مخضاً كل ظمآن ساغب

لا هوادة بعد اليوم

فاقام مرة مرصداً لممر الحاج عليه من اجل سالم بن زيد ليطلبه وكان مرة قد عهد الى غلمانه اذا مر بهم سالم ان يعلموه فمر بهم سالم متجهزاً فاعلموه فخرج مرة في اثره ماشياً فناداه يا ابا جعيط قف علي لا كلمك فابى ان يقف فالح مرة في اثره ومضى سالم ومرة يقول له مالي ومالك يا سالم خل بيني وبين بني تغلب وكن عماً وحكماً ولك الروضة المحامات والفرس الجرود والمرأة الاهتم فقال له سالم يا ابا حفصة قد امهلتك اتصيب المراس قدميك وتنبطح الشمس طلعتك وايم الله لا تراني الا مسوما الفرس من عدوك قال مرة والله لا تأخذني لومة لائم ولا هوادة بعد اليوم وافترقا على ابيوه جال ومكثا حتى كانت الحرب الآخرة التي هاجت بينهم وهي حرب مقتل جساس بن مرة فظفر مرة بن همام بسالم بن زيد النمري وسنأتي على خبره انشاء الله تعالى

ثأر ورب الكعبة

مقتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن مرة ان اخته الجليلة ابنة مرة زوجة كليب قتل وهي حامل فلحقت بقومها فولدت غلاماً فسمته المهجرس فكان مع اخواله بني مرة واولادهم وكان خاله جساس من ابرهم واحنهم عليه وكان الغلام قد احب خاله جساساً دون اخواله والفه فلا يدعوه

الا اباً ونشأ الغلام ذا عقل وادب وكمال فزوجه خاله ابنته سعاد ابنة جساس فمكث الغلام على ذلك ماشاء الله ثم انه هاج بينه وبين رجل من آل مرة ملاحات فقال له الرجل ما اراك تهدأ اونلحقك بابيك فوجد الغلام من ذلك وكان قد نسي امر ابيه لقلة معرفته به وانقطاعه عن قومه وطول الغيبة فانطلق المجرس حتى دخل منزله كئيباً مهموماً فسألته امرأته عن حاله فاخبرها فلما امسى آوى الى فراشه ووضع انفه بين ثديي امرأته وتنفس نفساً نفذ فى صدرها حتى كاد يخرج من صلبها فقامت المرأة مرعوبة قد اقلقها ما رأت منه حتى هجمت على أبيها جساس فى بيته وهو نائم فايقظته فقال لها ويحك ما دهاك فاخبرته خبر زوجها فقال جساس ثائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى اصبح ثم ارسل الى المجرس فاتاه فقال له انت ولدى وابن اخي وانت مني بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتي رغبة مني فيك وقد علمت ما كان بيني وبين قومك من الفتنة والحرب فى وقت ابيك زماناً طويلا حتى كدنا نفنى ثم اصطلحنا واحببنا الدعة والعافية بقية اعمارنا وقد احببت ان تنطلق معي الى قومك فتدخل فيما دخلوا فيه من الصلح ونأخذ منك عهداً وميثاقاً كما اخذ بعضنا من بعض قال المجرس انا افعل ما تحب ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بلامته وسلاحه على فرسه قال صدقت فحمله على فرسه واعطاه لامته جامعة وركب جساس فرسه وانطلقا حتى اتيا الى نادى قومهما فقص عليهم قصة حربهم وما صاروا اليه من العافية ثم قال هذا ابن اخي وابن اخيكم جاء ليدخل فيما دخلتم

فيه من الصلح ويعقد مثل ما عقدتم فلما قربوا الدم وكانوا يأخذونه من دم خناصرهم فيرصعونها جميعاً ويخلطونها يفعلون ذلك وفاء للعهد فقام المجرس فاخذ بوسط رمحه ثم قال وفرسي واذنيه وناصيته وعينيه ورمحي وطرفيه وسيفي وشفرتيه لا يدع المرء قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم حمل على جساس برمحه فطعنه طعنة دق صلبه وركض فرسه يريد عمه مهلهلا وانشأ يقول :

أين ديارنا ؟

تسائلني عما دهاني ويحهـــا سعاد وعمـــا تسألي انا خابر
تبين خليلي اين سارت ديارنا واين لنا من آل مرة ناصر
وقد يجبر العظم الكسير فيستوي ويولد بعـــد المرء يا سعد ثائر

لحق بعمه

ومضى المجرس من ساعته فلحق بعمه مهلهل ففرح به والطفه وقربه فاخبره بخبره كله وانه قتل جساساً فقال له مهلهل لله درك من ثائر ثم نظر مهلهل الى علامة في وجهه كانت في وجه كليب فتغرغرت عيناه من الدموع وبكى شجواً وقال :

الذكرى تبعث الالم

هـاج الفؤاد وعاد الهم والوجع وهيج الشوق مني الذكر والولع
اذا ذكرت زماناً كنت اعهده فيه لموت وفيه كانت الشبع
في صحبة فاتني دهر ففرقهم والدهر مقتهر للقرن مصطلع

والصبر احجى وكل الناس يقدمهم موت حثيث عليه مرت البدع
لله در كليب ايمـــا رجل اذا الكماة على امثاله طلعوا
هرت به غضبة كان المعاد لها وكان ليثاً اذا ما هيج الفزع
وكان اشجع من الف لقيتهم من الكماة عليها البيض والدرع
وكان عزاً منيعاً دافعاً فلقد تبين العز فينـــا بعد والدفع

سيد ربيعة يعذب

قال ثم ان مهلهل زوج ابن اخيه المجرس ابنته سليمى واعطاه ماله ورأسه على قومه مكانه وكان المجرس فتى جيداً مطاعاً كريماً عوضاً عن ابيه وانبعثت الحرب بين الفريقين واستعدوا للقتال واجتمعت قبائل النمر ابن قاسط مع بني تغلب ورأسهم يومئذ سالم بن يزيد النمري فلما التقى الفريقان قام غلام صغير كان نشـــاف حجر مرة بن همام وهو من عجل فقال له ياعم جعلني الله فداك اركبني فرساً اقاتل قال يا بني ما اضعفك عن ضبط العنان ومعانقة الفرسان وما من خيلي الا جواد لا يطاق وما عندي غير فرسي هذا قال اركبنيه ولا تخف على الضعف قال مرة فان علي يميناً لا يركبه احد الا بثمن فاعطني ما شئت قال فان لك الجمل الذي كنت وهبت لي قال فدونك فاركبه فركب الغلام الفرس فضبط عنانه وجال على متنه فاعجب من حضره فلما تحامل القوم للقتال وتشاولت الخيل والتقت الأسنة حمل الغلام على سالم بن يزيد النمري وهو لا يعرفه فاحتضنه وأتى به مرة بن همام فنظر اليه ثم قال للغلام اتدري من هذا قال لا قال معك والله سيد ربيعة واحب الخلق الى ان

اظفر به هذا سالم بن يزيد الثري وقد اخذته منك بمائة ناقة برعاتها فاذهب الى قومك فشاورهم فقالت ام الغلام يا ابا حفصة قد رضينا بك وبما اعطيتنا قال مرة اخاف ان تقول بنو عجل تعسف مرة صاحبنا قالت العجوز والله لا اشاور احداً غيرك قال فان لك بكلمتك هذه امة تكفيك الرحا والعر قال واخذ مرة سالما وذكره ما كان ناداه وهو مول لم يألوا عليه قال له سالم قد كان ما ذكرت فقال مرة قد جاء ما ترى ولابد من القضاء والله لتأتيني بكل ما تملك من قليل وكثيراً ولا يمر بك شهر الا قطعت منك عظما ممخا حتى آتي على نفسك فمر له شهر لم يأت له بشيء فقطع خنصره من يده فلما رأى ذلك سالم ارسل على ما يملكه فدفعه الى مرة فخلى سبيله وفي ذلك يقول بن عبلة شعراً :

فان تسأليني بالحوادث فاطماً ... وتستخبريني تخبر اليوم عالما
بمستلبس عن درعه وسلاحه ... تركنا عليه الذئب ينهش قائما
غدونا عليهم بالسيوف نعدها ... بايماننا نعلوا بهن الجماجما
لعمري لاشبعنا سباع عنيزة ... الى البحر منهم والنسور القشاعما
بشمس اطراف العظام ونارة ... بقطع آذانا لهم ومعالما
واما اخو حوط وسعيه بنا ... فقولا له يسأل بمرة سالما

الهجرس بن كليب يقتل

قال والتفت القوم وكثرة القتلى بينهم وكانت الهزيمة على بني تغلب والنمر بن قاسط فاما النمر فلحقت بارضها وتحصنت ببلادها وجبالها وقتل في

ذلك اليوم المجرس بن كليب ومضى مهلهل وقومه حتى اتوا كلب بن وبرة فاستجاروا بهم ومكثوا فيهم زماناً فقال مهلهل بن ربيعة :

نحن وهم

حلت سليمى بثغى حزازا	لقد طال سليمى على اعتزازا
اجدى حليلك ما ان يزال	يسمع منك ابيتي جهازا
ونحن وبكر وهم اخوة	فيوماً صلاحاً ويوماً نهازا
كاني رأيت بني تغلب	ارافم كانوا لحي حزازا
فنحن وهم مثل هدى الشموس	فما ان تواتيك الا اعتزازا
وكان انخنا لذى نخوة	نقارعه عن بنينا برازا
نقود لها الخيل يوم الوغا	ونقهر القرن ثم اعتزازا
ونحمي حمانا اذا معشر	اضاعوا حمام وكانوا نهازا
ونضرب هام الرجال التي	ترمل فينا دواً وافترازا

الصلح خير وابقى

قال ثم رجعت بنو تغلب بعد ذلك الى ارضهم واصطلحوا هم وبكر ابن وائل سوى مهلهل فانه اقام باهل بيته مجاوراً فى كلب بن وبرة فلما كان ذات ليلة وهو عند كلب ذكر ابن اخيه المجرس وقلة مقامه معه فبكى عند ذلك وقال :

ادرك المجرس ثاره

يا بن اخ نوى واي فتيل	لم ترعهم بمحدثات الصقالي

ايها المانعون منهم اقرنا	نحمل الثقل عندهم المضال
لم نزل معشراً الى المجد نسمو	عزنا فوق شامخات الجبال
فلقد اقدم الخميس على البعد	اذا انت الحزام والسعال
فتقيني بصدرها واقيهـــا	بقضيب من القناغير بال
يسق الالف المدجج بالقو	نس حتى يؤوب كالتمثال
يقهر الظبي والظليم ويردى	بسليم المصراية المعزال
ولقد عشت ما اروع دهراً	غير ما كل ولا زمال
والبس الجيش بالجيوش واسمو	لكريم الفعال يوم الفعال
وارى واجبا على لدى الحرب	بنزال الكماة يوم النزال
ادرك المجرس المكرم ثارى	يوم جساس اذ ثوى فى الرمال
وشفى مهجتى واذهب همي	ان ارى دارهم كسحق النعال

في طريق الغزو

واقام مهلهل مجاوراً فى كاب يغير على بكر فى فرسان قومه فيصيب اطرافهم ويقتل من ظفر به منهم فكانوا منه على خوف شديد وقد ملاهم شراً ثم اغار عليهم فوجد منهم جماعة على منهل فهوى عليهم برمحه فقتلهم ثم طرد فرسه فاعجبه مضيه فانشأ يقول :

جواديـــ

وعار النواهق صلت الجبين	عمود قوائمه كالكتب
ترجات منه وخليته	يجر العوالي كالمحتطب

اذا اقبلوا ودعوا للنزال ترجلت مستقد ما لم اهب
على اداة امرىء لم يزل يطالب بالوتر او يطلب

في ايهما قتل جساس ؟

الرواية الأخرى

ذكر بعض الرواة ان مهلهلا اقبل في جمع كثير بعد وقعة الحارث بن عباد والوقعات التي ذكرناها بعدها حتى نزل بواردات في جمع كثير من بنى تغلب ومن بنى النمر بن قاسط فقال لقومه يحرضهم يا بني تغلب ارضون ان يقتل سيدكم وقاتله حي في قومه وليس قومه باصبر منكم في هذه الحروب قالوا فابعث الى قومه سفيرا يؤدون الينا قاتل كليب فنقتله ونرى رأيك بعد ذلك ونرى فبعثوا رجلا منهم يقال له الازرق الى مرة بن همام ان ابعث الينا جساسا لنقتله بكليب ونرى رأينا بعدفي الصلح فقال مرة بن همام ابعد ما وقعت القتلى بيننا و بينكم وفني قومنا والله لقد اردت ذلك قبل ان يكون الحرب فما فعلت وعندكم من حربنا الخبر اليقين فاذا بدا ذلك فان دون جساس خرط القتاد .

المهلهل يطلب جساساً

قال و بعث الحارث بن همام الى الحارث بن عباد ان مهلهلا قد اقبل في جمع كثير حتى نزل بواردات و بعث الي يطلب جساسا فركب الحارث حتى اتى مرة وقد كانت اصابت مرة جراحات فقال الحارث يامرة انتم صنعتم هذا بوضعكم الالوا في بني تغلب قال دع ما مضى قال الحارث يامرة

استضعفك قومك فقال يا حارث لو استضعفني وكنت كما تقول لم اقف برمحي في فوارس قليلة وهم محيطون بي فاخذتني رماحهم بضرب الاول فالاول ولم آل عن موضعي حتى جن الليل ثم كان منهم لطلب المحاورة الى الصبح قال قد كان ذلك يامرة لقد كنت في اول امرك اخرق العقل وكيف الآن بوضعك اللواء في بني تغلب قال قد علمت اني لم ارد ذلك الا لاحنة فيما بيننا وكان ما كان .

المنفى الى مطلع سهيل

ثم قال الحارث يا ازرق قل لمهلهل ان ربعت على نفسك وقومك والا نفيتك الى مطلع سهيل وبلد غير بلدك فقد قتلت كفو اخيك ولواردنا العدوان قلنا كما قلت وليس كليب بخير من بجير ولا ابوه خير من ابي بجير فهلم نعد آباءك وآباءه وننظر ايامنا وايامكم ثم ننظر من افضل وقد رضينا بك واعلم ان السيوف التي لقينا كم بها لم نغمدها بعد وانها اليك حرا لم ترو فلما رجع الازرق اخبر الخبر فبعث اليهم ان ليس مثلي يتهدد والله لا اكف عن قتالكم او اقتل وما سيوفكم الينا باظمأ من سيوفنا اليكم واقام مهلهل في عسكره وخرج جساس على تلك الحال في رهط من اهل بيته الى الشام في خمسة نفر جساس سادسهم وبلغ ذلك مهلهل فبعث في اثره فوارس من بني تغلب من اشدهم بأساً واعظمهم مراساً وقال لهم يا بني تغلب هذا صاحب وتركم فانظروا كيف تكونون في امره وعقد لرجل منهم يقال له ابو النويرة راية فسار في خمسة عشر فارساً فلحقوا جساساً بماء يقال له المجول

في طريق الشام والمجول ايضا ماطمأن من الارض فلما نظر اليهم جساس مقبلين نحوه قال ياقوم هذه والله خيل تغلب قد اتاها الخبر فطلبتنا وهذه من الوية تغلب الالواء الذي ترون فلا يموتن رجل منكم حتى يقتل رجلا بنفسه ولا تبرحوا حتى تقتلوا عن آخركم فعاقبة الصبر محمودة فلاشك هؤلاء مادة لاصحابهم الذين قتلناهم في حر الردم فحاموا يا آل بكر على احسابكم وموتوا كراماً فاني ارى قوماً لن يفارقوكم حتى يفنوكم او يفنوا فتهيأ القوم وهم ستة نفر .

خبروا القوم باسمائكم

ثم اقبل التغلبيون فقالوا لهم من أنتم ؟ فارادوا ان لا يخبروهم باسمائهم فقال جساس خبروا القوم ثكلتكم امهاتكم باسمائكم لا يقولون اخفناهم فكتمناهم قد عرفوكم ثم ابتدأهم جساس فقال : انا جساس بن مرة قالوا : لا مرحباً بك . قال بل انتم لا مرحباً بكم ما انتم وماذا تريدون ؟ قالوا نريدك ومن معك ونحن من تغلب الغلباء فتمثل بشعره :

أليس من اردى كليباً لمن دون كليب منكم بالحقيق ؟

المناجزة فالمحاجزة

قالوا ستعلم عن ساعة فاستسلم انت واصحابك حتى نأتي بك الى مهلهل فيرى فيك رأيه قال جساس افسوى ذلك حتى كأنكم لم تذكروه فحمل بعضهم على بعض عند صلاة الظهر فقتل جساس واصحابه في اول وقعة تسعة رجال وقتل من اصحابه رجلان ثم تحاجزوا لشدة الحر وقد كان التغلبيون وردوا على

ماء من قبل ان يتروا جساس واصحابه فارادوا النزول على الماء ليشربوا ثم ينطلقوا للطلب فبينما كذلك اذ مر غراب بجماعتهم يرف كلما بلغ رجلا منهم رفرف عليه وقام على رأسه وحام كأنه يسقط عليه ففعل ذلك بجماعتهم.

قوارع الشؤم

وكان راعي غنم ينظر اليهم وهو على غنمه من بعض تلك المجهول واقبل عليهم الراعي فقال من انتم ايها المهجوس عليكم بالخيبة والحتف قالوا وماذاك لامك الويل فقال ليأ كان هذا الغراب من لحومكم ولتنقلبن انقلاب سوء عما تريدون قالوا ومن انت لامك الويل قال انا الدلوق قالوا بن من قال بن المعلق قالوا فمن انت قال من خفير اسد خزيمة قالوا من قوم مشائم اليك عنا نزلت بك قوارع الشوم قال ما انا ببارح عن هذه الثنية حتى انظر ماذا تصيرون اليه من هؤلاء القوم ان كنتم تريدونهم قالوا من هم قال ستة نفر بهذا المجهول كلهم بطل اروع الحيلة خشليل قالوا ومن اين علمت انا نطلبهم قال لقد مر هذا الغراب عليهم قبل ان يرف عليكم ندار دورة ثم تركهم وقد هم بالوقوع عليكم وهو لم يهم بذلك منهم فبعثوا فارساً فاشرف عليهم فاذا هو بالقوم فاخبر اصحابه فلم ينزلوا على الماء وقالوا انا نأتي القوم قبل ان يأخذوا حذرهم فساروا اليهم ولم يزل الراعي واقفاً حتى قتلت السبعة ونظر الى الغراب ساقطا عليهم فلما اطلع التغلبيون على جساس واصحابه بصروا بهم فلم يقدروا على النزول حتى اوتر جساس قوسه فجعل يرميهم حتى

قتل منهم رجالا وحمل عليهم ابو النويرة و كان فارساً مشهوراً وانشأ يقول :

ان القتال واجب * بعد كليب الذاهب * ارى العدو هارب * والتغلبي غالب

لن يفلحوا بعده

فاجابه جساس يقول :

قد كان ماقد كانا * ورمتم العدوانا * والبغي والبهتانا * قد ذقتم لقانا

خليتم الأظعانا * والمال والحسانا * وذقتم الهوانا * وعادنا اخرانا

ثم اختلفا بالرمحين فطعنه جساس فارداه قتيلا وقال لاصحابه احملوا عليهم فقد قتلت فارسهم ولن يفلحوا بعده فحملوا وهم اربعة على التغلبيين وهم خمسة فقتلوا منهم ثلاثة وافلت منهم رجلان مجروحان وجرح جساس جراحات مؤلمة وابن عم له كذلك .

شاهت الوجوه

واقبل المار بان الى مهلهل فاخبراه الخبر فقال شاهت الوجوه لو كانوا اعدادكم لما زادوا ولكن كانوا ستة نفر قالوا ان فيهم جساس وقد علمت شجاعته ولم يكن في اصحابه من هو دونه وهو قاتل كليب يا مهلهل والله ما نكلنا منهم ولكنها منايا حضرت قال فما فعل جساس قالو تركناه ميتاً بجراحات في بطنه نراها تقضي عليه ساعة فارقناه وآخر من اصحابه بتلك الحالة وقتلنا رجلين قال مهلهل ما اراكم الا هلكتم بكل موطن تقتلون .

منايا حضرت

قال وكان مهلهل قد بعث قبل ان يوجه بن النويرة واصحابه خمسة

عشر فارساً من طريق اخرى فى طلب جساس واصحابه فلقيهم حمر وحش فشغلتهم واصطادوا منها حماراً وهبطوا عن خيولهم و ر بطوها وجعلوا يقدون الحمار على النار ومر بهم جساس واصحابه فتكنى احد التغلبيين انا ابو انيس قال جساس تغلبي ورب الكعبة ووثب عليهم فخوام وندموا على النزول من الخيل فرشقوا بنبالهم حتى فنيت ثم طلبوا الامان من جساس فقال هيهات كيف نؤمن من لو قدروا علينا قطعونا ار باً ار باً فقتلهم جميعاً واستاق خيلهم ولذلك يقول :

نلت ثاري

ايا حمر الربد التي بين اربد	وبين جبال العفر ذات الابارق
الم ترني غادرت تغلب اذ اتوا	الينا جميعاً وسط تلاع الشقائق
ارادوا بنا مكراً ولو علموا بنا	وما قدار دنا من حفاظ الحقائق
لشدوا علينا شدة ولا سرعوا	الى قومهم فوق الجياد السوابق
تركناهم للوحش والطير فوقهم	تنقر من هاماتهم والمفارق
فاني متى ما تدركني منيتي	فقد نلت ثاري مستعف الخلائق

هم اولئك

قال وقد كان الرجلان الباقيان من اصحاب مهلهل قد اخذا على طريق حر الردم مخافة ان تتبعهما الخيل فلما كانا به نظرا الى رخم وعقبان ونسور وقوع على مرحلة من مكان اصحابهم فارادو النظر اليهم فقال احد الرجلين ليس هذا موقف مثلنا على الحال التى تخوفنا منها فالزم الطريق

فرا حتى اتيا مهلهلا فخبراه الخبر فقال قد قتل منكم ثمانية وعشرون رجلا وقتلتم رجلين قالا ما كان معنا احد غيرنا قال بلى قد بعثت انيس واباه خمسة عشر فارساً بعدكم وامرتم ان يأخذوا غير طريقكم فاتاني الخبر انهم قتلوا جميعاً قالوا ومن اخبرك قال رجل اقبل من عند الحارث بن ابي شمر الغساني فنزل بي البارحة فاي الفريقين اخذوا قالا على حر الردم قال فهل رايتما قتلا واحسستما بشيء قال احدهما رأينا رخماً ونسوراً على سواد حمر في الارض فلم نلو عليها قال هم اولئك ورب الكعبة فهل احسستم بعدهم بشيء قالا نعم على قدر يوم ونصف للغادي المحث على نصب ويومين للمسير رأينا قبرين جديدين سبقنا بد فنهما لا غير قال ربما ان يكون جساس وابن عمه المجروحين فان كان كذلك والا قتلكم مهلهل .

لمن القبران الجديدان ؟

قال ولما مضى جساس وابن عمه المجروح الى ذلك الموضع الذي حكى الرجلان عنه قضيا ودفنهما صاحباهما الباقيان ولحقا بمرة بن همام فاعلماه فاغتمت لذلك بكر بجساس واصحابه اعظم من غم بني تغلب ولما تيقن مهلهل بقتل جساس سأل صاحبيه وغيرهما هل قتل جساس بنفسه من تغلب احداً قيل انه قاتل ابو النويرة اشد فارس في اصحاب مهلهل قال مهلهل اظنه قاتل الجميع وقد استوفى بنفسه اولاً وآخراً وسأل مرة بن همام صاحبي جساس كم قتل من القوم قالا خمسة عشر فارساً منهم ابو النويرة وابو انيس وشارك اصحابه في الباقين قال مرة ذلك اولى لحدسي عليه لا احدث بمثله بكر

ابنة وائل قال الرجلان لقد كنا بامره اشد عضدا واكرم اصحابا قال ظني بابن عمي قال فاين قتلاكم قالوا دفناهم حيث قضوا قال فاين قتلى تغلب قالا تحت الضباع والطيور وقشاعم النسور قال ذاقوا وبال امرهم يقولها مرتين .

لا رأى في الصلح ؟

قال ثم بعث مرة بن همام الى مهلهل بعد قتل جساس وقد بلغت من الحروب بقومك ما قد علمت فهل لك رأي بعدها فى الصلح ولم نبعث من بقي من ايتام وائل فلما اتى مهلهل كلامه صاح فى تغلب وقال يهزأ بكم مرة والله ان قتل جساس احب الي من حياته افيرى ان يحمل بثلاثين فارساً عوض عن اربعة رجال وانما يريد تحريض بكر عليكم وتصغيركم في اعينهم الى يوم القيمة قالوا يا مهلهل قد قاتلنا معك منذ نيف واربعين سنة الى ان قتلنا جساساً لم نذخر انفسنا دونك وما ابقيت منا ومنك على ما مضى ولم يبق من زماننا الا الاقل من ذلك ولو لم نقاتل معك اكلنا الدهر موتاً وقتلا فهلكنا غير محمودين فشانك وما تريد فانا طوع يدك على ما تريد انشاء الله فقتل جساس مع ماية احب الينا من بقائه قال اجل ولكن هلاك ماية من بكر احب الي من هلاك واحد منكم ونفسي تطيب بذهاب عدوكم وبقاءكم .

من لم يقتل يمت

فعندها بعث مهلهل الى مرة بن همام انك لا تؤمننا بالصلح من الموت والقتل فلا صلح حتى نبلغ منكم ما نريد او نموت فنلتقي بكليب ومن

يقتل بعد سيدنا كليب فقد واساه بنفسه وقام بثاره قال مرة للرسول ابلغ مهلهلاً انه يعلل نفسه بالامان وليس عندنا الا ما عرف فاقام مهلهل مكانه ذلك وجعل يبعث فرسانه على سرح آل مرة ورعاتها فيقعون فيهم قتلاً وغلا وعقرا فاغار مرة بن همام فى بنى بكر على مهلهل وقومه بواردات فلما تواجهت الخيلان نادى مهلهل الارض يا بنى تغلب فمن ههنا يكون المحشر ثم اندفع بفرسه يضرب فى بكر بالسيف حتى رد الكتائب على اعقابها والتقاه الحارث بن عباد فقال مهلهل انصف يا حارث قال الحارث اوفيت يا مهلهل فجالا ملياً ثم اشتغل كل منهما عن صاحبه ووقف مرة بن همام بين الصفين يطعن ويضرب ثم ركز رمحه وخنقته العبرة لذهاب وايل قتلا وغلا فجعل يفكر فى امره اذا اصابه سهم فى لبان درعه واثبت نحره فمات منه بعد ايام

العميد لا يحيد

فلما رأى الحارث ذلك علم ان مرة لا يبقى بعده فحمل فى حماة الخيل على تغلب وتكاثرت الغارات من بكر واحاطوا بتغلب فهزموهم قسراً وقتلوا غير قليل واسروا كذلك فلما رأى ذلك مهلهل ثبت مكانه كلما غشيته الخيل عض على سرجه وارتفعت عنه الرماح وكلما نالته السيوف اتقاها بجفنته وزعق فى وجوه الفرسان فحامته ملياً فلما نظرته بكر هالها منه ذلك وقالوا عميد القلب لا يحيد عن الضرب مولع بالحرب غير منفرج عن الكرب فاركوه ومابه قصدوا عنه بعد هزيمة قومه واجلائها عنه فلما وصلت بكر بلادها ومات مرة بن همام دفنوه واعولوه وعظم مصابه وقيلت فيه الاشعار

وفى ذلك اليوم يقول الحارث بن عباد شعراً :

البغى يهلك أهله

ونهيت جساسا لقاء كليبهم خوف الذي قد كان من حدثان
ولقد ابى والبغي مهلك اهله الا منيته بحد سنان
ونهيت بعد مهلهلا عن حربنا وزحوف اقران الى اقران
فابى مهلهل فاستبيح قراره قسرا اكل اخ بقا وطعان
واقرت الفتيان ان فى العلى جساس اضحك رعلة الضبعان
شبعت نسور الجو من قتلام بحجولها وحواصل الغربان
فترى النسور عواكفا من حولهم تنهشهم وكواسر العقبان
قتل الثلاثين الذين تعدهم واظن قد انبأ كه الرجلان
عن كر جساس بن مرة فيكم وقدبه ابصرته بيبان
ترك النساء على كليب حسراً بالامس خارجة عن الاوطان
فاذا بكيت على كليب فاذ كرن قتل الكهول ومصرع الفتيان
وابا نويرة لا تدع تذكاره فلنعم مأوى الضيف والفرسان
والردم يوم الردم فاذ كر فتية قتلوا بها بثوابت الكثبان
لا تنس ثم ابا انيس اذ ثوى وابا محلم غرة الفتيان
لم ينكلوا تحت السيوف وقدغدوا من وقعها لكواسر العقبان
كانوا لجازرهم الحماة وشأنهم ضرب الكماة بحد كل يمان
لا تنسهم ان كنت تعرف شأنهم وازدد بهم حزناً الى احزان

ان كنت تحسب ان تباشر بالقنا ... فابو نويرة كان غير جبان
اراده جساس بطعنة مخطف ... فى الحرب يرعش خوفه الركبان
واصاب جساس بن مرة وتره ... في موقف متضايق الأركان
فى ساعة و بقيت تطلب جاهداً ... مالا تنال يداك منذ زمان

مصارع الفتيان

فاجابه مهلهل يقول :

لا تفرحن بكثرة البهتان ... فلموت مقدور بكل مكان
ان كان جساس اصاب معاشراً ... واصيب يوم تجالد وطعان
فكلاهما ذاق القنا وكلاهما ... اردى وتلك مصارع الفتيان
وكلاهما ذاق الحمام وكل من ... يبقى وجدك فى البرية فان
وبه اصابت وائل اوتارها ... يوم المجول وكان غير جبان
ليس المريح كمستعيب فى الوغى ... والصدق ليس كمنطق البهتان
ان السيوف بكورها ورواحها ... تركتك مرة خاوي الاركان
ان لم تزركم خيلنا بعصابة ... تفنى بيوم لقاءها الثقلان
فخذوا شفاركم وحزوا بعدها ... منا الحلوق ببغية الا مكان

كيف قتل مهلهل بن ربيعة

قال ثم ان مهلهلا اغار على بني بكر يوماً من ذلك فظفر به عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وكان رئيساً فى بني بكر من ساداتها

واشرافها فاخذ مهلهلا فاسره فمكث عنده ما شاء الله عز وجل ثم ان رجالا من قوم بني قيس بن ثعلبة اخذوا شراباً واصلحوا طعاماً ثم اتوا على عوف فقالوا انا نحب ان تأذن لمهلهل ان يأتينا ويتحدث عندنا اليوم ففعل عوف ابن مالك فاتاهم مهلهل فشرب معهم كرة فلما اخذت فيه الخمرة سألوه ان ينشدهم ويحدثهم وكان احسن العرب صوتاً واحسنهم وجهاً واكملهم خلقاً واعلمهم بايام العرب واشعارها وطفق يحدثهم وينشدهم اشعار العرب فلما غمر في الخمر طفق ينشدهم ما قال في اخيه كليب وما قال في بني تغلب ويفتخر بمن قتل منهم فلما فرغ غشى عليه ثم افاق وهو يقول وا كليباه وا قتيلا لا عقل ولا كفوء منك ولو ترى ابن امك مكتفاً لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضراً ثم قال :

لا كفوء منك

شفيت النفس من ابناء بكر	وحطت بركها ببني عباد
وتيم اللات قدوطئت وعجلا	ينقل من كلا كلها الشداد
ويشكر قد اخنام وذهلا	باسياف مهندة حداد
وهام بن مرة قد تركنا	صريعاً بين مرفض الصعاد
تركنا الطير عاكفة عليه	كشيء هالك من عصر عاد
اذا ما الخيل والاشكال جالت	وفي لبانها الاسل الصواد
وثار النقع بينهم وثارت	لها اسد على اسد عواد
رأى اهل المصبح من كليب	حفاظاً عند مختلف الهواد

بضرب تشخص الابصارمنه   وطعن مثل افواه المزاد

وكل مجرب فى الحرب ليث   اذا ما استن فى ظهرالجواد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا قودوا اليك فلا تقاد

على ان ليس يوفى من كليب   لمنع الجـار اعراب الاعاد

على ان ليس يوفى من كليب   لاعطاء الطرايف والتلاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا ما لاح خصم في تماد

على ان ليس يوفى من كليب   ربيع المقبرين بكل واد

على ان ليس يوفى من كليب   على ميتم الادانى والبعـاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا منع الرقاد عن الوساد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا سلك السوابق فى جهاد

على ان ليس يوفى من كليب   برشد في الرشاد او الرشاد

على ان ليس يوفى من كليب   حشاشة مرمل باقل زاد

على ان ليس يوفى من كليب   لمعضلة تلجلج في الفؤاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا نادى المنادي في الطراد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا ما كان يوم ذا اتعاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا ما حل ضيف ذو كساد

على ان ليس يوفى من كليب   اذ ما الرأى اعى ذا الرشـاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا ثرنا الى يوم الجـلاد

على ان ليس يوفى من كليب   اذا ما صـار فى متن الجواد

وكان عن الأعنة معصفات كأسراب القطا نحو الوراد

لم يبق تاج

وقال مهلهل ايضاً :

اما هاج شوقك بالوارد وانت لبكر على الراصد
على ان بكراً هم اقصدوا كليباً فما هو بالعائد
سنسقيهم فيه ما استوردوا ونشفي النفوس من الصائد
بحرب زبون فلا نرعوى على كل ذي غرة ناهد
واقسم بالله خير الخداع وبيت بمكة للقاصد
لنأتي بكراً باسيافنا جيعاً لمجتلد الجالد
عناني لمصرعه ما عنا من الأمر ذي السورة الفاقد
وقد كنت في اخوتي راقداً فصرت بدهري بلا راقد
مضوا في الحروب وقد ايقنوا بان ليس في الارض من خالد
وكل جمع وان يكثروا يصيرون يوماً الى واحد
فذلك ايضا كمن قد مضا فليس بباق ولا عائد
وجاءتك عجل وشبانها فردوا الى الواحد الماجد
وقيس العتاة واسداسها وتيم كذا للجة الراكد
رأوا وقع اسياف غلماننا فردوا الينا مع الحارد
غداة لقيناهم اذ غدوا ولم يبق تاج على قاعد
صبحناهم يوم جمع الوغا ضروس تهيج حشا الراقد
فاضحوا حطاما واجسادهم خموداً همودا مع الخامد

فقتلنا الكهول معا والشباب ... ولم ترث الولد من الوالد
تضيق البلاد ببكر غـداً ... وبعد غد فهو كالهامد

المصيبة العظيمة

وقال مهلهل بن ربيعة ايضا :

كنا نغار على العواتق ان ترى ... بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسراً ... مستبقيات بعـده بهوان
وترى الكواعب كالظباء عواطلا ... يبكين مصرعه فقد ابكاني
يخمشن ادمة الوجوه طوالعا ... من بعده يبكين بالاحزان
ويقلن من للمستضيق اذا دعا ... ام من لخضب عواسل المران ؟
ام من لاسباق الديات وحملها ... ام من لكشف حوادث الحدثان؟
ام من للخيل لا تزال مغيرة ... بالبيض والرايات والابدان ؟
كان الذخيرة للزمان فهدني ... فقدانه واصاب ذخر زماني
يالهف نفسي من زمان فاجع ... القى علي بكلكل وجران
فصيبتي لا تستقال عظيمة ... اعيت على الاشياخ والشبان
وعلى الصغار الحمر في امهادها ... فضل عن اهل الحلم والاسنان
والقد بكت بيض الصفائح والقنا ... وبكى النساء عواطلا وغوان
فبكين سيد من مضى ونديه ... نشرت عليه قباطي الاكفان
وركبن مصرع حتفه متكرما ... بدمائه فلذاك قـد اشجاني
والخيل تبكيه وكانت دهره ... تمسي عرايا وهي كالفرسان

فاليوم صارت تغلب من بعده — من فوقها ومن البلا ركبان
قتلوا الاعادي فاستطابوا قتلهم — واقام عندهم الاسير العاني
والقتـــل فيهم قاطع لذهابه — فلمثل هـذا هاجنى احزاني
فلابكين عليه حتى لا ابكي — عنديــــ وسيفى دامى وسناني
ولاتركن طيب الحيـاة لالفه — ووددت ان قد سرت فى اكفاني

لنا الشرق والغرب

وقال مهلهل ايضاً :

رب هيجاء قد ركبت اليها — قاصداً ما اردت منها ازورارا
البس الدرع والحسام بكفي — وجوادي يعاود التكرارا
وسناني مركب في قناتي — حين يبدو يخاف الـكف نارا
ولحرب اذا اسطلاها بنوها — واثاروا بجريهن الغبارا
يصدق القول فى اللقاء بضرب — مستبيحين عندهن الديارا
رب خيل لقيتها لا ابالي — حيث القى كأنها مغوارا
اننـا معشر اذا ما غضبنا — ضاقت الارض ثم عفنا الديارا
فلنا الشرق والمغارب طراً — وانـا الارض تقتفى بالاثارا
ان أقمنا اقامت الناس طوعاً — او اردنا الحروب سرنا جهارا
فاسئلوا مدحجاً وكندة عنا — واخا الملك يوم سرنا وسارا
وبنى مازن وعمراً وعكا — اذ مررنا بهم نبيح الذمارا
كيف القوا جيادنا مسرعات — اذ تبادرتهم هناك ابتدارا

وسقينا الشعثمين بكاس   تورث القلب صرة واذدكارا
وبني يشكر غداة اتونا   امعنوا حين ابصرونا فرارا
قرة العين من لجين بن صعب   ثم ذهل وقد سقيت مرارا
وشفينا النفوس من قوم حار   وتركنا عليه بلماً قصارا
قتلوا ربهم كايباً وقالوا   حلت الحرب بعدها الاوزارا
كذبوا والحرام والحل حتى   تسلب الحرب منكم الافيارا
ويموت الجنين والشيخ منكم   وتزيد الحروب فيها استعارا
ويزيد الحرب فى الحرب حتى   يقتض الدين منكم اوطارا
وينال الهوان شيخ بجير   حيث يقضي بوتره اوتارا

الغرام في السجن

قال فبلغ ذلك عوف بن مالك فغضب واوثق اسار مهلهل بن ربيعه وحلف لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يرد الحصين الماء والحصين جمل لعوف بن مالك كان لا يرد الماء الا بعد شهر فمات مهلهل قبل ان يرد الماء قال وكان مهلهل فى وثاقه قد هويته امرأة من بني بكر يقال لها جيبة بنت المجالد فراودته عن نفسه ورجت ان تصيب منه حملا فابى فتعلقت به لذلك فكره عليها فقال مهلهل بن ربيعة ويقال انه آخر شعر قاله حتى مات :

اليك عني !

جللوني يا آل تغلب حرباً   جعل النفس عندها فى التراق

فاليك ابنـــة المجالد عني   لا تداني العناق من في الوثاق
عند عوف بن مالك لست ارجو   لذة العيش ما مسيت بساق
ضربت صدر هالي وقالت   يا عدياً وقاك حتفك واق
طفلة ابنـــة المجالد رشما   ولعوب لذيذة في العناق
ظبية من ظباء وجرة تعطوا   بيديها في ناظر الاوراق
ما ارجي في العيش بعد ندامى   قد سقوا قبلنا بكاس الحلاق
بعـــد عمرو وعامر وعمير   وقتيل اسروف وابني عناق
والقتيلين ابني قرينة في الشعب   وزيد وهلكه في الوثاق
وامرىء القيس نأت ما اعظم الخطب   وحلا على ذات الفراق
وكليب سم العدا كان فينا   وكربه اللقاء عند التلاقي
فارس يضرب الكتيبة بالسيف   دراكا كلاعب المخراق
ان تحت الاحجار حزما وعزما   وخصيما لدى الدهـــاء المشاق
حية في اقمـــات اربد   لا ينفع منهـــا السليم نفث الراق
اخذتنـــا حفيظة لطلوع الخيـــل   ولات حين منـــاق

وهذا آخر شعر قاله مهلهل بن ربيعة والله اعلم .

الفداء

قال بعضهم انه اقام محبوساً عند عوف بن مالك حتى طلب اليه مهلهل ان يجود له بنفسه على ماية من الأبل يفدى بها نفسه فقبض عوف منه المائة ومضى مهلهل فتحمل باهله الى مذحج وقد سرحهم بين يديه في اول النهار

وتخلف هو وعبدان شاكان السلاح وامر اهله ان يسيروا واعلمهم انه لاحق بهم وراد غرة عوف بن مالك لقتله

موارد ليس لها مصادر

فلما لم يمكنه غرة سار في اثر اهله يومه واذا هو بغلمان من بكر على اذواد لهم يلعبون على البئر ويسقون الابل فهبط عن فرسه وقال للغلامين مكانكما وتخمر على بيضته وقصد الى الصبيان يريهم انه اعمى حتى كاد ان يسقط في البئر فقالوا له يا شيخ لا تسقط قال اني مكفوف وبصركم شر من بصري قالوا وما ذلك على ذلك قال اراكم لا تحسنون اللعب قالوا فعلمنا كيف نصنع قال ارجعوا وراءكم ثم اطرحوا عمائمكم على اعينكم وردوا الماء فاشربوا من حوضه كما ترونني شربت وانا اعمى ان يكن بصركم كبصري فبعدوا ثم تعمموا واحداً واحداً وكان ملتحفاً على سيفه كلما ورد عليه واحد منهم الماء ضرب عنقه وطرحه في البئر حتى بقي منهم واحد فكشف عن عصابته وكان اديباً وقال ارى موارد اصحابي ليس لها مصادر فذهبت مثلا فتبعه مهلهل ليضربه فقلت بنفسه فناداه مهلهل اذا كرهت الموت فعز قومك في الابل قد استاقها مهلهل وساق الابل لاحقاً باهله حتى امن وامن اللحوق .

المؤامرة

ونظر مشى اهله فالحق الاذواد ورمى بنفسه في ظل شجرة ومعه الغلامين

وكانا خصيبين قد شمطا وملا قتل الرجال وسوق الاموال واصابهما الجوع والخوف فلما نزل عن فرسه تحت الشجرة اشتورى العبدان في قتله ثم قال احدهما هـذا شيخ وهو باعث عليه حرب مدحج جذعة مع حرب وائل ويفرق بيننا وبين العيش والامن ويبدلنا الجوع والخوف فهل لك ان نقتله قال نعم ما رأيت وكان مهلهل قد هجع فارادوا قتله ويلحقان باهلهما واهله فيقولان انه مات وامكنتهما فرصة فوثبا عليه فاخذاه يداً ويداً فانتبه فزعاً وقال ما الذي دهاكما قالا نذيقك ما اذقت العرب قال هل تنظرانني قالا ولات حين مناص ولا نصيب فرصتك ومنيتك قد قضيت سواء

الوصيـــــة

فقال ان الموت لي حبيب وكنت له مشتاق ولا اكره ان يقتلني مالي فابلغا الى ابنتي وصية خفيفة وخصاهما عني السلام قالا اعلمنا بما شئت قال تقولان لها هذا البيت من الشعر :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   لله دركما ودر ابيكما

قالا نفعل ثم طعنه احدهما قال مهلهل ثكلتك امك لو اخذت البيضة عن رأسي لكفاك اخذها دون ان تضع يدك في سيدك فاخذا البيضة فقلبت عليهما فاقتلعاها فخرجت ام رأسه وبقي الدماغ ينتفض من تحتها

لله درك من قتيل

فقال احدهما لله درك من قتيل وفى لاخيه حتى اجابه بمصرعه كريماً ثم دفناه ودفنا معه بيضته ولحقا باهلهما يبكيان ويدعوان بالويل والثبور

ويقولان وامهلهلاه واسيدناوا فارس العربان وسمعتهما امرأة المجرس بن كليب وهي سليمى ابنة مهلهل قالت ما ورائكما لله انما قالا مات ابوك مهلهل وتركنا عيلة قالت فهل وصاكما بشيء قالا ولا حرفاً واحداً اسمعنا قالت فما بال الدم في حجفة الفرس وكان الفرس لما قتل شم رأسه واحتفل وصهل وذفرت عيناه وهو فرس مهلهل المشهر قالا من شدة المسير على اثركم ادما لجامه

البنت الصغيرة

قالت وهل خلفتما خبراً قالا نعم مررنا بغلمان بكر فلما قتلهم والحقنا بكم اذوادهم استظل محموماً ثم شهق لنفسه قالت وحق انصاب وائل مايموت أبي من غير وصية فهل حفظتما عنه شيئاً قالا ما وصانا بشيء غير انا سمعنا في غمرته بنفسه يقول :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   لله دركما ودر ابيكما

فضربت سليمى ومن حولها الفكر فلم يجدوا مخرجاً فانتبهت الصغيرة تبكي وتقول وا ثكلاه قتيل ورب الكعبة اوثقوا العبدين كفاتاً ورباطا فاوثقهما فتيان تغلب رباطا واختلط كلامهما قالت اتدرون ما قال ابي وما عنى بقوله قالوا اى شيء عنا يا ابنه تغلب قالت انما اراد بقوله هذا :

اقتلوا العبدين

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   اضحى قتيلا في الفلاة مجدلا

لله دركما ودر ابيكما   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاسروا بالعبدين فضربت اعناقهما ودفنا ورجعت بنو تغلب بظعنهم الى بلادهم وهذا اصح الروايتين فى قتل مهلهل واحتسب بعده بكر وتغلب فى القتلى وودوا كليباً بعشر ديات وقالت سليمى ابنة مهلهل ترثي اباها شعراً :

على ابي

اعيني جودا بالدموع السوافح ... على فارس الفرسان فى كل صافح
اعيني ان تفنى الدموع فاو كفا ... دماً بارفضاض عند نوح النوائح
الا تبكيان المرتجى عند مشهد ... يثور مع الفرسان نقع الاباطح
عد يا اخا المعروف في كل شتوة ... وفارسها المهيوب عند التكافح
رمته بنات الدهر حتى انتظمنه ... بسهم المنايا انه شر رائح
وقد كان يكفي كل وغد موا كل ... ويحفظ اسرار الخليل المناصح
كأن لم يكن فى الحي حياً ولم يرح ... اليه عناة الناس اوكل رائح
ولم يدعه فى الفعل كل مكمل ... لفك اسارى اودعى عند صائح
بكيتك ان ينفع وما كنت بالتي ... ستسلوك يا ابن الاكرمين الجحاجح

وقالت ايضا :

يا ابن الاكارم

منع الرقاد لحادث اضناني ... وونى العزاء وعادني احزاني
لما سمعت بنعي فارس تغلب ... اعني مهلهل قاتل الاقران
وكففت دمعي فى الرداء تخاله ... كالدران قارنته بجمان
جزعاً عليه وحق ذاك لمثله ... كهف اللهيف وغيثة اللهفان
المرتجي عند الشدائد ان غدا ... دهر حروب معضل الحدثان

والمستغيث به العباد ومن به — يحمى الذمار وجورة الجيران
لهفي عليه ان توسط معضل — حصن العشيرة ضارب بجران
لهفي عليك اذا اليتيم تخاذلت — عنه الاقارب ايما خذلان
فاذهب اليك فقد حويت من العلا — يابن الاكارم ارجح الرجحان
فلابكينك ماخبيت وماجرت — هوجاء معضلة بكل مكان

وقيل في مهلهل الاشعار الطائلة والمراثي واعولت تغلب عويل مثله .

القتلى من اشراف بكر

قتل من ذهل مرة قتله مهلهل بن ربيعة وابنه همام قتله ناشرة بن اغواث والحارث بن مرة اخوهما قتله ابن زهير واطعن كعب نافلة ثم انتقضت عليه الطعنة يوم التحالق فمات كعب بن زهير بن جشم وهو شيخهم وكبيرهم وابوهم مرة قتله مهلهل يوم واردات وشراحيل بن مرة جد الحوفزان وجد معن ابن زائدة قتله عباد بن معد بن زهير بن جشم وهو جد عمرو بن كلثوم وهمام بن مرة قتله امرئ القيس بن ابان وربيعة بن ذهل بن شيبان وهو المزدلف ومن ولده هارون الأعصم وعمرو بن قيس بن منصور بن عامر وهو الحصيب وكان جواداً فقيل له الحصيبين عمرو والمزدلف بن ابي ربيعة وكان مع حجر بن مرة آكل المرار وكان شيخاً كبيراً وكان يتكهن فلما خرج تصدا له ظبي فقال اما واللات انه ليوم نحر لم اشهده ولم اغب عنه ارفعوا الى حرمل جلي فقال له حريب انك ليوم دعى وشرب الالقاه والحارث بن همام كان رئيس بكر وصاحب امرها بعد ابيه همام قتله عمرو بن زهير جد عمرو بن

كلثوم الشاعر ابو ابيه وضبيع بن غنم جد مالك بن كومه وجساس بن مرة قتله المجرس بن كليب فى رواية من غير حرب وقد اختلف فيه وعمرو بن الحارث الذي كان مع جساس يوم قتل كليب قتله مهلهل وعمرو بن السدوس ابن شيبان بن ثعلبة عثرت به فرسه فادركه المار وث بن عمرو بن معاوية ابن جشم بثينة المر فربان وهو بالقادسية فطعنه فقتله والشعثمان ابنا معاوية بن عمرو بن ذهل بن جشم بن مالك ابنا يزيد وبجير ابن الحارث بن عباد قتله مهلهل بن ربيعة وسعد بن ضبيعة شيخهم وعمهم وثعلبة بن عوف بن ابي سعد بن مالك الشجاع والمرقش وسنان بن ابي الحارث بن سنان واخوه عمرو وجيل وعمرو بن عباد بن ضبيعة وصليع بن عبد غنم بن ذهل بن شيبان وكان صليع مع حجر آكل المرار نجى بطعنة فمات منها وحنبل بن مالك بن تيم اللاة وحنبل بن عتب وعبد الله بن مالك بن تيم اللات امه هند ابنة ذهل بن ثعلبة فقتلهم جيعاً مهلهل وعاشر بن تيم اللات وهو جد عبدالله بن زيد بن ضبعان بن مطر بن الجعد بني قيس وهم رهط واقد بن حجر كان مع يوسف بن عمرو فقتله تيم اللات بن قيس بن ثعلبة وهو جد الحرفش وكان شيخاً نحياً فى هو بع فلحقه عمرو بن مالك بن العبد فقتله وكثير بن جشم وهو جد الاخطل فقتله فهؤلاء اشرافهم ورؤسائهم واهل المأثرة والنجدة وارباب الألوية وما دونهم لا يحصى ولا يعد.

القتلى من اشراف تغلب

كليب بن ربيعة واسمه وائل وهو سيد الحيين جيعاً وفارس زار وفيه

هاجت الحرب قتله جساس بن مرة وابنه المجرس ومهلهل بن ربيعة قتله عبداه وقد اختلف فيه وشيخهم كعب بن زهير بن اسامة بن مالك بن بكر بن جيب وهو جد السفاح قتله الحارث بن عباد وعمرو وحجل ابنا مالك بن الحارث وربيعة ابنا عناق امهما جارية يعرفان بها وهما فارسان فى الجاهلية وابنة القرسة بها يعرفان وعمرو بن زيد ابناء الحارث وقتل حي ابن الحارث بن حي فارس تغلب وصاحب الحرب الاخير وجيب بن فارس رماه النمر بن ذهل فقتله ومشر بن مالك بن سعد بن جشم بن جيب قتله عبد ابن عمرو بن عوف بن ضبيعة وقريس بن عامر بن عمرو الشاعر وناشرة ابن اقوات قتله عباد بن جهم اليشكري فاكثر هؤلاء قتلهم الحارث بن عباد وفرسانه وابو انيس وابو النويرة قتلهما جساس بن مرة فهؤلاء من ادرك من اشراف تغلب وحمال الويتها واهل الامر فضل عن الرعايا والمقاتلة فلا تعد هؤلاء امراء الجيوش الذين قتلوا تحت الالوية فى حرب البسوس وهذا ما ادركنا من خبر بكر وتغلب والله الموفق للصواب وروى فى اجلاء بكر وتغلب من تهامة ان قحطان قصدتهما فاجلتهما الى العراق وسكنت مكانها حكم بن سعد العشيرة بن مدحج ولها فى ذلك اشعار وروايات وهذا ما وقفنا عليه من اخبار بكر وتغلب ونسأل الله العون والاحسان والمغفرة والرضوان انه كريم منان ؟

انتظروا الجزء الثانى

فى حرب بنى شيبان مع كسرى انوشروان فى شأن الحرقة ابنة

النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب

فانه سيصدر قريباً